نجيب محفوظ

# في ليالي "سان استيفانو"

**محمد الجمل**

الكتاب : نجيب محفوظ .. في ليالي "سان استيفانو"

الكاتب : محمد الجمل

الطبعة : ٢٠١٨

**الناشر : وكالة الصحافة العربية ( ناشرون)**

٥ ش عبد المنعم سالم – الوحدة العربية – مدكور- الهرم – الجيزة

جمهورية مصر العربية

هاتف : ٣٥٨٢٥٢٩٣ – ٣٥٨٦٧٥٧٦ – ٣٥٨٦٧٥٧٥

فاكس : ٣٥٨٧٨٣٧٣

**http://www.apatop.com E-mail: news@apatop.com**



**دار الكتب المصرية**

**فهرسة إثناء النشر**

**الجمل ، محمد**

**نجيب محفوظ في ليالي "سان استيفانو" – محمد الجمل**

**الجيزة – وكالة الصحافة العربية، ٢٠١١**

**الترقيم الدولي: ٨ – ٧٠٢ – ٤٤٦ – ٩٧٧ – ٩٧٨**

**أ – العنوان رقم الإيداع / ٤٨٣٨ / ٢٠١٨**

نجيب محفوظ

# في ليالي "سان استيفانو"

وكالة الصحافة العربية
«ناشرون»

## مقدمة

**ترددت كثيرا وأنا أفكر في عنوان مناسب لهذا الكتاب، وقد استقر رأيي في النهاية علي اسم (ليالي سان استيفانو·· في صحبة نجيب محفوظ) وبرغم لقاءاتي اليومية الصيفية السكندرية مع نجيب محفوظ بداية من عام ١٩٧٧ كانت في ثلاثة مواقع ـ الأولى في كازينو "بترو"، والثانية في كازينو "الشانزليزيه"، والثالثة في كازينو "سان استيفانو" . فقد كان التلاحم الحقيقي بيني وبين الأستاذ في الموقع الثالث، وكان لذلك أسبابه.**

فقد جرى التعارف على تسمية ندوتي "بترو" و"الشانزليزيه" باسم "ندوة توفيق الحكيم"، حيث كان لذلك أسبابه، فقد جرى التعارف على تسمية ندوتي "بترو" و"الشانزليزيه"، باسم "ندوة توفيق الحكيم"، حيث كان هو صاحبها، ويجلس بجواره "نجيب محفوظ"، وكان "الحكيم" بحكم طبيعته هو المتحدث شبه الوحيد طوال ساعات الندوة الثلاث، ويكتفي الحاضرون بمجرد التعليقات والتساؤلات بما فيهم نجيب محفوظ، وهكذا لم تتوفر لنا مساحة الوقت الكافية للتوغل في عالم "نجيب محفوظ".

وعندما توفي "توفيق الحكيم" (١٩٨٧) لم يشأ نجيب محفوظ أن تستمر الندوة في "الشانزليزيه"، في نفس مكان ندوة صديق عمره ورفيقه الراحل، من منطلق موقف أخلاقي أصيل، وهكذا قرر نقل الندوة إلى كازينو "سان استيفانو"، حيث أصبح اسم الندوة "ندوة نجيب محفوظ"، حيث اتسعت مساحة الوقت للانشغال بعالمه الأدبي الرحب الفسيح، ومنذ هذا الوقت بدأت صحبتي الحميمة للأستاذ، قرابة سبع سنوات، تباعدت بعدها الصحبة الصيفية اليومية، بعد "ضربة سكين" غبية طائشة في رقبته عام ١٩٩٤، من شاب جاهل أحمق لم يقرأ كلمة واحدة للأستاذ، وهكذا انقطعت ندوته الصيفية إلى غير رجعة.

هكذا تواصلت حواراتي مع "نجيب محفوظ" دونما انقطاع، ولم أستثن سؤالا واحدا رغبت في طرحه عليه، كان يعشق الديمقراطية وحرية التعبير، وتلك كانت عقيدته المتمثلة في مضمون ثورة ١٩١٩.

كان يتقبل من أعضاء الندوة بعض النكات والقفشات والنقد الزائد عن الحد.. وعندما أبديت دهشتي قال لي بتلقائية الفنان الواعي: "نحن هنا في برلمان "سان استيفانو"، وهو بديل برلماتنا الزائفة .. لا إبداع بدون حرية تعبير، ولا نهضة بدون صندوق انتخاب شفاف ونزيه .. كل واحد يعبر عن نفسه من منظور ثقافته وإدراكه الخاص".

وفي سبتمبر ١٩٨٨، وقبل أن يحصل على جائزة "نوبل" بشهر، قررت أن أجمع حصاد حواراتي معه في شرائط مسجلة، تكون بمثابة

شهادة أمينة لأديب كبير، عاصر كل ما جرى في القرن العشرين في مصر والعالم العربي والعالم كله، وعبر عن رؤيته من منظور أدبي واقعي مستنير في عشرات الروايات ومئات القصص القصيرة، وها أنا أقوم الآن بإفراغ هذه الشرائط في كتاب، يقدم صورة صادقة وأمينة لتجربة إبداعية عالمية، استحقت جائزة "نوبل"، وترجمت في أكثر من أربعين لغة مختلفة.

وقد حرصت أن أضيف إلى الحديث المسجل مجمل الانطباعات والاعترافات الخاصة التي خصني بها الأستاذ، بعيدا عن سوء فهم مغزاها من ضيقي العقول، وأرجو أن أكون قد وفقت في هذه المحاولة المتواضعة لتحية أديب عالمي شامخ، عاصر ثورة ١٩١٩وحكم عبد الناصر وأنور السادات وحسني مبارك .

---

**ملحوظة**: أريد أن أذكر القارئ بأن الحديث كان في عام (١٩٨٨)، أي مضى عليه حتى الآن قرابة ثلاثة وعشرين عاماً، حتى يتنبه القارئ للفارق الزمني، فيما ورد في هذه القارة من أحداث وانطباعات ووجهات نظر.

# الفصل الأول

**ربما يكون مناسبا أن أتحدث عن بدايات اقترابي من "نجيب محفوظ" وعالمه، كنت قد اشتركت بحكم مهنتي العسكرية في حرب العدوان الثلاثي ١٩٥٦، وحرب يونيو ١٩٦٧، وحرب الاستنزاف (٦٧ – ٧٠) وما إن توفي "جمال عبد الناصر" حتى شعرت بحالة اكتئاب مرضي حاد، مصحوبة بحالة اللاسلم واللاحرب، وأنا قابع في موقعي في قطاع السويس، أعيش مع زملائي حالة فراغ موحش داخل موقع حصين على الضفة الغربية للقناة، ننتظر قرار لا يجيء .. قرار العبور وتصفية آثار العدوان. وعندما عرضت نفسي على طبيب الوحدة قدم لي بعض الأدوية والمهدئات، ثم قال لي بحزم واضح:**

"أهم من هذه الأدوية هو أن تفعل شيئا تحبه وسط هذا الفراغ: رياضة، شطرنج، طاولة، دومينو، أغان، راديو"، فكرت في هذه النصيحة بجدية واهتمام، تذكرت أنني كنت عاشقا لقراءة الروايات والقصص منذ صباي الباكر، ومازلت أواصل هذه الهواية في أوقات الفراغ، آنذاك الوقت.

هكذا قررت في أول إجازة ميدانية أن أعود منها ومعي كل روايات وقصص نجيب محفوظ، لأعيد قراءتها من جديد بعقل متفتح ووجدان

يقظ، وبمضي الوقت تحولت هواية القراءة إلى محاولة للكتابة والإبداع. وبدأت التجربة بالتقليد والمحاكاة لأعمال الأستاذ، ثم قطعت شوطا لا بأس به في محاولة التفرد والتميز والاستقلال، استغرقتني التجربة فنجوت من مرض الاكتئاب، وساعد على شفائي نصر أكتوبر ١٩٧٣. وما إن أحلت إلى التقاعد في عام ١٩٧٧، حتى قررت أن تكون مهنتي الجديدة هي الكتابة الأدبية، بصرف النظر عن العائد المجزي. أغرتني الهواية بتسجيل تجربة الحروب التي خضتها في كتابة القصص والروايات، التي نالت قدرا لا بأس به من التقدير والاهتمام.

ومنذ أن أحلت إلى التقاعد عام ١٩٧٧، هجرت الخنادق والدشم والصحاري، وفزت بغنيمة الاستقرار الدائم في الإسكندرية، موطن طفولتي وصباي وشبابي، واصلت القراءة والكتابة بهمة ونشاط، وأصبح من الطبيعي أن أتعرف على الكتاب والشعراء والنقاد بالثغر الحبيب، فأصبح من الضروري أن أتردد على قصور الثقافة ومقار الجمعيات الأدبية، وأنتظم في حضور الندوات والمؤتمرات وحلقات الحوار، وعندما توطدت صلتي بالشاعر "عبد المنعم الأنصاري" (رحمه الله) نصحني بالتردد على ندوة "توفيق الحكيم" الصيفية، باعتبارها فرصة للتعرف على كبار الكتاب والاستفادة من خبراتهم، وخصوصاً "نجيب محفوظ"، نجم الرواية العربية الواقعية الحديثة، لم أتردد لحظة. تكفل "الأنصاري" بتقديمي إلى "نجيب محفوظ" باعتباري أديبا شابا واعدا، يبلغ من العمر ٤٢ عاما.

حرص الأستاذ على تشجيعي، وأغراني على المواصلة، بقوله: "برناردشو بدأ الكتابة المسرحية وهو في سن الأربعين". وعاد يقول لي: "الشباب شباب القلب، ولا يحسب بالسن".

هكذا نمت علاقتي بالأستاذ نجيب وتطورت وسط ذهولي من بساطته وتلقائيته، حتى أنني اعتبرته صديقا في مثل سني، وكأنني أعرفه منذ سنين، وأقول له بما لا أبوح به لزوجتي وأولادي.

شعرت أنه يحمل بين جنباته عاطفة أبوة تفوق الوصف، أصبح بالنسبة لي أبا روحيا ومعلما وصديقا يسمع أكثر مما يتكلم يعلق على حدث خطير أو سؤال مصيري حاسم بجملة واحدة .. جملة تجمع بين الشاعرية والرمزية، تحتاج في تفسيرها إلى صفحات كنا نتحدث ذات مرة عن الحاكم المستبد القاهر لشعبه، وعندما سألته عن رأيه قال باقتضاب: "جرى قتل يوليوس قيصر على سلم البرلمان" حدثته ذات مساء عن أزمة اجتماعية نفسية، مررت بها وترتب عليها خسائر غير محتملة، ظل يسمعني بصبر طبيب نفسي سألته في نهاية حديثي عن المخرج الممكن من هذه الأزمة، فقال لي كلمة واحدة: "استغني".

وكانت الكلمة المفتاح للخلاص من الأزمة، فعندما يعجز الإنسان عن تحقيق بعض التطلعات والطموحات، فعليه أن يستغني عما يصعب تحقيقه حتى يتصالح مع نفسه، ويواصل حياته بتواضع ورضا وقناعة".

أذكر أنني قدمت للأستاذ نجيب مجموعتي القصصية الأولى "قبل رحيل القطار" عام ١٩٧٩ لم أصدق أنه يملك الوقت لقراءتها والتعليق عليها، فوجئت به بعد أيام يخبرني بأنه قرأها وأعجبته باعتبارها بداية طيبة ويطلب مني مواصلة الكتابة بلا توقف، وعندما طلبت منه اعتماد شهادته بالتوقيع على استمارة قبولي بعضوية اتحاد الكتاب لم يتردد لحظة. راقبته وهو يوقع بعين غير مصدقة واستعدت الاستمارة بيد مرتعشة وضممتها إلى صدري.

وتواصلت المسيرة في "بترو" و"الشانزليزيه" حتى عام ١٩٨٧، إلى أن حدث التلاحم المباشر بيني وبين الأستاذ في ندوته بكازينو "سان استيفانو"، وكانت لي معه حوارات علنية مفتوحة في الندوة، وحوارات شخصية خاصة أثناء تناول العشاء بعد انتهاء الندوة في مطعم "جاد" في محطة "الرمل"، وقد حرصت على تسجيل هذه المحاورات في دفتر خاص، وعندما حل عام ١٩٨٨، كانت لي مع الأستاذ وقفتان مهمتان، الأولى عندما انتهيت من كتابة روايتي عن "حرب أكتوبر" (من كفر الأكرم إلى بارليف)، وطلبت منه أن يكتب تقديما لهذه الرواية. لم يتردد الأستاذ بنبله المعهود. كتب التقديم وتسلمته بيد مرتعشة غير مصدقة، ثم قبلته في رأسه، ثم قبلت الورقة تعبيرا عن الشكر والعرفان.

وجاءت الوقفة الثانية في نهاية نفس العام، عندما قررت أن أنظم وأرتب محاوراتي مع الأستاذ في شرائط مسجلة، لتصبح شهادة تاريخية

موثقة، ترصد أبعاد تجربة أدبية عالمية من منظور محلي، يجمع بين ما هو جزئي وما هو كلي، ما هو نسبي وما هو إنساني عام، ما هو واقعي وما هو فوق واقعي، ما هو معقول وما هو لا معقول، ما هي تاريخي وما يتعلق بالحياة اليومية، ما يجمع بين الطبيعة وما وراء الطبيعة، ما هو معلوم وما هو غيبي، ما يجمع بين الواقعية النقدية والواقعية السحرية، ما يجمع بين واقع مأزوم وأزمة المصير الإنساني، والآن أدعوكم لاسترجاع حديث أمير الرواية العربية عن تجربته الأدبية، وأتمنى أن ينال هذا الحديث كل عناية وتدقيق واهتمام.

وأستأذن القارئ في إضافة ملحوظة مهمة: إنني لم أتعرض لمحاوراتي مع "نجيب محفوظ" بعد حصوله على جائزة نوبل، فقد كان هذا الحدث الكبير لاحقا لهذه التسجيلات، وسوف أتعرض لها بمشيئة الله في كتاب ثان.

في بداية محاوراتي سألت الأستاذ، ما إذا كان يقبل تقسيم الحقبة التي واكبت مسيرته الأدبية إلى ثلاث فترت: ما قبل ثورة يوليو، وحكم "عبد الناصر"، وحكم السادات، طلب مني أن أضيف عصر مبارك باعتباره فترة رابعة، ثم أخذ يتحدث وكأنه يستعيد قراءة كتاب الذكريات.

"الفترة الأولى بدأت من الثلاثينيات حتي عام ١٩٥٢، وكان عمري ١٩ عاما، هذه الفترة كانت تسمى بالفترة الديمقراطية، وهي لا

ديمقراطية ولا حاجة!! لا شك أنها كانت تتمتع بقدر كبير جداً من الحرية، أما من حيث أنها كانت قيدا أم انطلاقا بالنسبة للفنان، فأستطيع القول بوجود حرية في الجانب الفكري والفني، فقد عشنا فترات حكم غير دستوري وإن كانت تتقنع بالدستور، لم تكن هناك ديكتاتورية سافرة.

كان عندنا برلمان وقوانين وسيادة قانون واستقلال قضاء، وعلى الجانب الفكري لم يكن الأديب سواء كان كبيرا أو صغيرا يشعر بثقل السلطة عليه أو على قلمه، فأنا شخصيا لم أشعر . منذ أول قصة قصيرة كتبتها وحتى الثلاثية (آخر ما كتبت قبل الثورة) . بحرج في الكتابة، اللهم عند ذكر القصر أو الملك، فقد كانت هناك عقوبة رسمية لمن يجرؤ على المساس بالعرش أو بصاحب العرش، لذا كان الحذر مطلوبا، وفيما عدا ذلك فأنت عندما تقرأ "القاهرة الجديدة" و"خان الخليلي" و"زقاق المدق"، تجد أن الكاتب يفتقد مجتمعه بمنتهى الانطلاق والحرية، ويهاجم السلبيات حتى فيما يمس نظام الحكم أو السلطات العليا أو الوزراء، ينتقدها بمنتهى الراحة وهو شاعر بالاطمئنان، فقد كان المجتمع يتمتع بالاستقرار.

(يعني بكرة زي انهارده.. حتى بسلبياته) في تلك الفترة لم يكن هناك قلقا مما سيحدث في الغد.

وعندما سألت الأستاذ عن فترة ثورة يوليو ١٩٥٢، واصل حديثه ببساطة وتلقائية وموضوعية.

"تعلـم أنـني اضـطررت في هـذه الفـترة إلى التوقـف لمـدة خمـس سنوات، فلـم أكـن أعرف مـا سـوف يتمخص عنه هـذا المجتمـع الجديـد، فالتزمت الصمت، صحيح أن بعض زملائي أخذوا في نقد العهد القديم بعد أن زال، أما أنا فقد كتبت عن ذلك العهد في وجوده، فلماذا أكرر نفسي؟!

كـان موضـوعي الجديـد هـو رصـد الواقـع بعـد الثـورة، وكـان لابـد لكي أحصل على حريتي في رصد هذا الواقع من أن أعرض المعادل له، لا أن أقتحمه مباشرة، لأن ذلك أصبح صعبا لسببين: الأول أنه يتغير بين لحظة وأخرى، والثاني هو أن مس الواقع أصبح صعبا وخطيرا، وأصبح الكاتب يحاسب على كل كلمة يكتبها، ولم يعد الأمر سهلا، وشاعت مقولة (اللي يكتب كلمة كده أو كده يتقطم وسطه)٠ لذا كان أول عمل لي بعد ذلك هو "أولاد حارتنا".

حارة خيالية يصح أن تنطبق على "مصر" أو لا تنطبق، تتناول بعض مشكلاتنا إلى جانب مشكلات العالم وتاريخه، الواقع فيها مخلوط بسير الأنبياء، كان على الكاتب أن يتحايل على الواقع الذي يحيط به، بأن يجعل ما يكتبه يفهم على عدة مستويات، وعندما يتهم في واحد منها، يهرب قائلا: "لا" أنا أقصد المستوى الآخر، هناك — مثلا – من قال لي: هل قصدت بالفتوات مراكز القوى؟ أرد بسرعة عليه: "لا ·· أقصد طبعا·· أعداء الأنبياء"٠ أما إذا قيل لي: وكيف تمس الأنبياء؟

يكون دفاعي: "أنا أعبر عن رفضي للمجتمع".

**ثم يضيف "نجيب محفوظ":**

"أدب هذه المرحلة تغلب عليه المراوغة، فيجيء معادلا للواقع، لأن عملية مس الواقع كانت خطيرة"، وبعد ذلك تشجعت في (اللص والكلاب) و (السمان والخريف)، ومضيت ولكن بخطوات حذرة، وجاءت (السمان والخريف) لتمثل عزلة إنسان مجروح من العهد السابق، (يعني تنتقد وتلاقي)، وأظن أن (اللص والكلاب) و(ميرامار) و(ثرثرة فوق النيل) و(الشحاذ) جاءت في ظل هذا الجو، كلها كتبت من خلال المراوغة والرمز، وهي تنتقد أزمة الحرية بصفة عامة، وأزمة المثقفين بصفة خاصة، ورغم كل هذه الاحتياطات وهذا الحذر كان من الممكن الواحد "يطب"، كانت هناك عوامل كثيرة حمتني من البطش، وأولها: سيرتي الشخصية التي لا غبار عليها، وإنني لست منضما إلى خلية ولا متصلا بسفارة أجنبية، كل ما يمكن أن يقال: "أهو .. أديب وبيهجص .. يعني مش داخل في مخطط".

**ثم يضيف "نجيب محفوظ" بتحفظ وموضوعية:**

"ولكن مع هذا كله، فعندي قدر من الانتماء للثورة، لا أظن أنه غاب عن قادتها، فلم أهاجم مبدأ من مبادئها، وإنما هاجمت السلبيات،

عندما قلت إن هناك أزمة حرية· لكنني لم أتعرض للإصلاح الزراعي، ولا التصنيع، ولا التأميم، ولا القومية العربية· فأنا متحمس لمبادئ الثورة· وخلافي معها أنني أقول: "يا جماعة·· أشركونا معكم، أو امنحوا الشعب قدرا من الحرية".

يمكن أن تفسر موقفي هذا بأنه موقف إصلاحي، وليس موقفا رافضا".

**ثم يواصل "الأستاذ" طرح شهادته عن فترة حكم السادات، فيقول:**

كانت هناك حرية لم يتمتع بها الفرد في أيام عبد الناصر، ورغم هذا شعرت بوطأة الرقابة أكثر مما أحسست بها في فترة حكم عبدالناصر، ولعل هذا لا يرجع إلى طبيعة المرحلة، بقدر ما يرجع إلى نكسة يونيو ١٩٦٧، ففي أيام "عبد الناصر" تغيرت المعاملة بعد ٥ يونيو، فاشتدت الرقابة وبدأت مصادرة الأفكار والأعمال. كانت الثورة متشددة في كل شيء، لكنها كانت تترك الأدب يتنفس. امتدت قبضتها بعد ٥ يونيو لتبطش بالفن؟

ويعلق "الأستاذ" على فترة السادات بقوله:

"عندما جاء السادات كانت قبضة الرقابة ما تزال في وقتها· ورغم مناداته بالديمقراطية، إلا أن حساسيته لأي انتقاد له كانت شديدة جدا، ولا تقل عن حساسية النظام السابق.

لذلك تجد أنني إلى جانب أعمال واقعية وصريحة مثل (الكرنك) . كتبت أعمالا معادلة للواقع مثل (الحرافيش)، لا ننسى أنه قد صاحبت فترة حكم السادات قوة ملموسة في التيارات الرجعية، وفي بعض التيارات الدينية المتطرفة، وهي في حد ذاتها أفرزت وجود نمط من الرقابة الشعبية".

أردت أن أستوضح رؤية الأستاذ لعصر السادات، فوجهت إليه سؤالا مباشرا: كنت مع ماذا وضد ماذا؟

"كنت مع نصر أكتوبر، ومع السلام، وضد الفساد والتضييق على الحرية الذي كان مقننا في عصر السادات، وقد تصديت لفساد الانفتاح في (أهل القمة) و(الشيطان يعظ).

لقد اهتزت صورة العدالة الاجتماعية، وأنا مع من يرى أنها أخذت تختفي في ذاك الوقت، وقد عبرت عن هذا التصور في (أيوب) و(الحب فوق هضبة الهرم) وفي قصة (البقاء للأصلح).

وعندما سألت الأستاذ عن رأيه في الفترة الرابعة (فترة مبارك)، ولم يكن قد مضى عليها سوى سبعة أعوام (١٩٨١- ١٩٨٨) أجاب بشكل مقتضب يتناسب مع قصر الفترة وعدم التسرع في الحكم: "فترة حكم مبارك - حتى الآن - تشعرك أنها تتجه نحو الطريق الصحيح، وجزاؤها مؤجل، وتحتاج لوقت ليظهر أثر جهدها، فهي تبنى من الأساس وتواجه تراكمات سابقة".

وعندما سألت "الأستاذ" عن رأيه في فضل السينما والتليفزيون على انتشار أعماله واتساع تأثيره في الناس، أفاد بأن المهم ألا تتسبب في قلب مضامين الأعمال إلى ضدها، مثلما حدث في (ميرامار) في شخصية إقطاعي قديم يتسم بالسلبية والرجعية، ولكن "يوسف وهبي" عندما جسدها بحسه الساخر وفكاهته المعهودة، جعلها تبدو على النقيض تماما منها في الكتاب.

وعندما سألته عن حيرة الناس في تصنيفه: هل هو يدعو للاشتراكية، أم هو محسوب على التيار الليبرالي، أم أنه اشتراكي ديمقراطي؟ أكد لي أنه يدخل في خانة (الاشتراكية الديمقراطية)، وقال بتركيز مبهر: "أدافع عن قيم الحرية التي تنتمي للديمقراطية، في نفس الوقت الذي أدافع فيه عن العدالة الاجتماعية المنتمية للاشتراكية·· ومع ذلك أعترف من حيث الكم بأن الدفاع عن العدالة الاجتماعية هو الغالب، ففي فترة ما قبل الثورة كان الفقر غولا أكثر من الديكتاتورية".

قلت للأستاذ: إن أعماله تتعرض لمسأله المصير الإنساني وماهية وجوده، وسألته إن كانت أعماله تتعرض لهذه القضية في مختلف مراحل إبداعاته، فقال بلهجة توافق: أعتقد أن التيار الوجودي ظهر في "الثلاثية"، بل وفي "خان الخليلي"، وتبلور في روايات مثل: "اللص والكلاب"، و"الشحاذ" و"الطريق". أردت أن أستوضح رؤيته فقلت: هل توافقني أنه كلما تعقدت الأحوال الاجتماعية والظروف الاقتصادية تضخمت أزمة الفرد، وانشغل

بمعنى وجوده كإنسان في مواجهة الطبيعة والكون والمصير المحدق به؟ قال: "يصح أن تترجم متاعب الحياة" إلى أزمة وجودية، بمعنى أنها تتحول إلى أزمة فلسفية.

ربما تلاحظ أن مشاعر القلق والتوتر الوجودي ظهرت في (اللص والكلاب) و(الطريق) وفي ملحمة (الحرافيش) و(حضرة المحترم) .. هناك بالفعل علاقة أكيدة بين التوتر الاجتماعي والقلق الوجودي.

عدت أسأله عن مدى توفيقه في المزاوجة بين التراث والوافد، فقال بإسهاب وتفصيل: "لقد تربينا على أيدي أناس كانوا كلهم من المهتمين بالتراث وبإحيائه على أسس عصرية.. يعني يمكن أن نسمي عصرنا (عصر إحياء).. لم يغب التراث عن محور اهتمامنا أبداً.

قبل أن نبهر بـ (أنا تول فرانس). كنا قد بهرنا بـ (أبي العلاء المعري) عن طريق طه حسين، أو بـ (ابن الرومي) عن طريق العقاد.. قرأنا في (الأغاني) لأبي الفرج الأصفهاني، استوعبنا شعر (أبي نواس)، قرأنا (ألف ليلة وليلة)، قرأنا سيرة (عنترة) و(أيام العرب)، المنفلوطي نفسه ربطنا بالتراث، رغم أنه لم يكتب فيه كتابة مباشرة.

وعندما قرأنا لأعداء التراث والمتغربين، كان أثرهم فينا محدودا.. عندما بدأنا نتعلم أشكالا جديدة، مثل القصة والرواية، لم نجدها عندنا أصلا في التراث بالشكل الذي نمارسه، بل كانت بشكل آخر. تصور بعضنا أن التراث أبدي وعالمي، يمنح للعالم كله كصيغة يمكن استعمالها في

كل زمان ومكان، هذه طبعا فكرة خاطئة· عرفنا أن الشكل يجب أن يطوع مع المضمون، بحكم الذات والبيئة والتراث· في البداية وفي سن الشباب، الأديب يبهر بالجديد، فيقع في مطب المحاكاة والتقليد، دون تطويع الجديد لظروف البيئة· ومع الممارسة والنضج يفوق الأديب من الانبهار ويكتفي بالإعجاب، ثم البحث عن الحقيقة والذات، وهو أهم من أي شيء آخر".

**سألته كيف نجح في تحقيق هذه المعادلة الصعبة، فعاد يقول بوضوح:**

"أعتقد أن صعوبة تحقيق هذه المعادلة ترتبط بنا نحن، فالأديب في العالم المتطور يلتحق بالمدرسة ويلم بتراثه، وعندما يقرأ الحاضر يجد أنه امتداد لهذا التراث فقط، وقد امتزجت به عناصر جديدة ترتبط بأمرين: فردية المبدع، ونمط الحياة التي يعيشها، وهو عندما يبدأ في الكتابة يكون دائما تحت تأثير شخصية أدبية بارزة في عصره، فيعجب بها ويبدأ في محاكاتها إلى أن يهتدي إلى شخصيته هو، وأسلوبه المميز، وربما يدعو إلى أسلوب جديد نابع من ذاته وعصره دون أي إشكال، أما عندنا فالإشكال يأتي بسبب انتمائنا لحضارة، واقتحام حضارة أخرى لنا على مدى مائة وخمسين سنة، وهذا هو الفرق بيننا وبين غيرنا·· هناك ثلاث فرق: واحد يقول بإغلاق النوافذ حتى نحافظ على خصوصيتنا، وآخر يدعو إلى كنس الماضي كله، بتصور أنه لا قيمة له، ويتعلق بالقطار

الجديد، قطار الحضارة الحديثة، وثالث يدعو إلى التزاوج أو التوافق، فلا ننسى تراثنا، بل نختار منه ما هو حي وباق لنطعمه بالأشكال الجديدة، وهذا التيار الوسط هو الغالب في البلاد منذ (الجبرتي) وحتى الآن".

ويعود "الأستاذ نجيب" يستطرد فيقول:

"لو استطاعت مجموعة من المفكرين ابتكار فلسفة عربية إسلامية معاصرة ذات سطوة وتأثير، بحيث تتمكن من التعبير عن واقعنا، وتصل إلى مستقبلنا، لكان من الممكن أن تنعكس هذه الفلسفة فيما يكتبه مبدعونا".

عدت أصارحه بسؤال يتعلق بشخصه وتكوينه الذاتي، فقلت بصراحة مطلقة خالية من الحرج: "أستاذ نجيب·· ألاحظ أنك شديد الالتزام بنظام حياة صارم وشديد الترتيب، وربما يتسم بالقوة على الذات والحرمان من بعض متطلبات الحياة·· ما سر هذا التوحد العميق بينك وبين رسالتك الإبداعية؟

لاحظت أن السؤال لمس لب التكوين الوجداني لنفسه، فأجاب بانفعال دافق لم يستطع أن يتحكم فيه:

"هناك واحد يحب واحدة، ويعمل المتسحيل ليتزوجها، وبعد ذلك ييأس منها، ويرغب في الزواج من غيرها ·· وهناك شخص آخر يستميت في حبه حتى النهاية، فكيف تفسر ذلك؟ ·· تذكر أنني توقفت عن الإنتاج خمس سنوات (١٩٥٢- ١٩٥٧)، كانت من أغنى أيام

حياتي في النشاط السينمائي والمادي، وأتعسها من الناحية الفنية ·· كنت "سيناريست" ناجحا، ولأول مرة في حياتي أتذوق طعم الراحة المادي والكسب، وبرغم ذلك تركت فن "السيناريو" لأتعاقد على كتاب ·· وبهذه المناسبة العمل في السينما أسهل كثيرا من الأدب الذي لا يمنحك جزاء ملموسا، بل عذابا طويلا·· ومع ذلك عندما تحرك الأدب رميت "السينما" وعدت إليه·· كانت فترة "السينما" من أتعس فترات حياتي·· أعترف لك بكل صدق·· كنت أضيق بالحياة·· الحياة الراغدة، التي اكتسبتني "فلوس عمري ما شفتها"، لكنني كنت أتمنى أن تنتهي ·· أحب فني أكثر من حبي للحياة·· تحضرني الآن مقولة لـ"سارتر"، ربما تتطابق مع إحساسي، عندما قال: "أردت أن أبرر وجودي، فاخترت الأدب مطلقا".

عدت أسأل الأستاذ عن أسباب استمراريته الإبداعية، وتبني عدة مذاهب أدبية· لمحت ابتسامة متحفظة كعادته عندما يستجمع تركيزه، وأنا أقول له: "البعض أعتبر "عبد الوهاب" موسيقار الأجيال، فهل يمكن اعتبارك "أديب الأجيال"، بحكم تعدد المراحل الفنية والحقب المختلفة؟ أجاب الأستاذ: "هناك مناخ وظروف نفسية تشجع على استمرار العملية الإبداعية، وهناك مناخ وأسباب اجتماعية وسياسية قد تعوقها·· هناك أسباب للاستمرار وأخرى للانقطاع، يمكن دراستها من خلال كل فرد على حدة·· هناك إرادة المبدع والتفتح مع المحيط الذي يعيش فيه والسهر علي خدمة موهبته ورعايتها·· وهناك من أعطى رؤيته في عمل واحد مثل

(رامبو) ·· كان سريع التأثير وسريع الانتهاء·· الموهبة لها أعمار، موهبة معمرة وموهبة للموهبة·· ثم هناك ظروف سياسية ورقابية تمنع استمرار الموهبة·· إحباطات شديدة لم يستطع التغلب عليها بسبب شدة الحساسية·· هناك ظروف خارجية تجعل واحدا يصمد وآخر لا يصمد ·· هناك من ينجح في تجاوز العوائق والعواقب·· هي إذن معركة مثل أي معركة، لها أسلحة وتحايلات وطاقة".

أردت أن أستوضع من الأستاذ حقيقة التكوين النفسي للمبدع من حيث درجة تقديره لنفسه، ما بين الإعجاب المفرط بالذات والتواضع في تقدير الموهبة، سألته عن الفرق بين غزو المبدع وبين ثقته في نفسه، وهل الثقة بالنفس تتخفى أحيانا وراء شعور دفين بالغرور؟

صمت الأستاذ قليلا، بدا لي أنه يرتب أفكاره، حرصا منه كعادته على توصيل الإجابة بلغة بسيطة لا تخل بالمضمون، وتكشف عن الخط الرفيع بين نقيضين، هما الغرور والثقة بالنفس، قال: "نبدأ في تحديد المفهوم·· الغرور ظاهرة سلبية·· هو خطأ في تقدير الإنسان لنفسه·· يكون عالي الذكاء فيتصور أنه حاد الذكاء·· أو حاد الذكاء فيتصور أنه عبقري·· أعماله عادية فيتصور أنها خارقة·· عنده صورة عن نفسه لا تنطبق على الواقع أو أكبر من الواقع·· يقدم عملا عاديا، ويتصور أنه عمل كبير، وهذا يكون بذرة غرور نابعة من ذاته·· هناك عوامل خارجية

للغرور مثل المجاملات وتغليب المصلحة·· الإنسان يميل لتصديق الذي في صالحه·· فعندما يكون النقد لصالحه يزيده غروراً.

عدت أسأله كيف صان نفسه من الغرور، وكيف تحققت ثقته في نفسه· قال "هناك أشياء صانتني من الغرور ·· أنا بطبيعتي موسوسا·· مفيش ثقة كبيرة في النفس·· أشعر بالوسوسة تجاه أعمالي الفنية·· لم أسمع نقدا لأعمالي الأولى لمدة طويلة فازددت شكا·· ربنا وهبني صديقين صاحباني طول العمر (عبد العزيز أيوب، والدكتور أدهم رجب)، كانا يمتازان بالصراحة القاسية ·· يقولان: عملك هذا جيد·· وعندما لا يعجبهما العمل يقولان: عملك هذا سخيف·· لا مدارة ولا مجاملة ·· بدأت أدرس الأدب دراسة نظامية·· اتخذت نظاما للدراسة مبتدئا بالأدب العالمي ·· اخترت العمالقة مثلما اخترت أعمالهم الـ (ما ستربيس) ·· كانت هذه الأعمال تظهر الإنسان أنه لا شيء·· كل هذه العوامل صانتني من الغرور·· أحيانا ما أمر بلحظة انبهار بالذات، وسرعان ما أفيق منها·· عندما أبدو متواضعا، فليس هذا تواضعا (مصطنعا)، وإنما للأسباب سالفة الذكر·· بعضها يرجع للاطلاع والبعض يرجع للنقد نفسه·

تعرضت لنقد إيجابي وآخر هجومي·· كان هناك من يقول لي (قف عند حدك)· النقد المجامل ضخم بعض الكتاب فأفسد حياتهم·· لا يجوز للإعجاب أن يصل إلى درجة الغرور "نحن زمن خوارق العلم··

الأديب يعيش بين العلماء والمفكرين والمخترعين الذين يرغمونه على التواضع ·· أنا أتحكم في إعجابي بنفسي لأسباب حضارية ونفسية، وملابسات الحياة الأدبية نفسها·· الكوابح في الواقع شديدة ومتنوعة ومتعددة.

ولا تمكن الأديب من الإفراط في الثقة وتضخيم الذات ·· بعض الكوابح يتصل بالحضارة الإنسانية والظروف العربية والصفات الشخصية·· الغرور يطعن في الأخلاق، وربما لا يطعن في الموهبة·· الذي حماني من الغرور هو الإحساس بالسلبيات الكثيرة التي تكتنف حياة الإنسان وضعفه·· درجة الوعي بالعصر والحضارة والمصير الإنساني ونسبية المعرفة بأسرار الطبيعة والكون، تحمي بالضرورة من رذيلة الغرور".

طرحت على الأستاذ مقولة (برناردشو) عندما قال: المضمون يحفر قناته الشكلية، سألته ما إذا كان الوعي بالواقع هو الذي يفرض اختيار الشكل الفني، أقر بصحة هذا الافتراض، وقال: لا يجوز أن أضع فهرسا للموضوعات لأختار منه الشكل الذي أريده حسب خطوط الموضة.

سألته: كيف يضع بصمته على (نصه)؟ فأفاد بأن هذا الأمر يتم بتلقائية تامة، فما إن يتلبور الموضوع في الذهن حتى يعرف طريقه، وعندئذ يأتي الشكل المناسب بالوسيلة المناسبة.

تشابهت مسيرتي التعليمية مع "نجيب محفوظ" من حيث التنوع، فقد جمعت بين دراستي العسكرية في الكلية الحربية، ثم حصلت على ليسانس الآداب قسم اللغة العربية، وجمع الأستاذ بين دراسة الفلسفة في كلية الآداب ودراسة الأدب بشكل طوعي منظم، وقد سأله عن مدى علاقة دراسة الفلسفة بدراسة الأدب لخدمة العملية الإبداعية، قال: "في الغرب يسبق الإبداع وجود الفكر والفلسفة، فمثلا يعبر الأدب الرومانسي عن الثورة الفرنسية وفلسفتها المبنية على تحرير الذات، ويجيء الأدب الواقعي معبرا عن الفكر العلمي، أما الأدب التعبيري فيرجع إلى الفلسفة الوجودية والفلسفات الثورية الحديثة.

وما من شكل أدبي إلا ويمكنك أن ترجعه إلى فلسفة، أما عندنا فلا توجد هذه الفلسفات، فالأمر يترك لاجتهاد الأدباء، ويخضع للانطباعات، أو الاجتهادات الشخصية، فالأديب ليس مفكرا بالمعنى الحقيقي، إذ إن المفكر هو الإنسان الذي وهب نفسه للفكر عمرا مديدا، ليخرج بمادة واحدة مضيئة، ولكن الأديب يختلف عن ذلك، فنجد أديبا يغلب عليه التراث فينعكس على مادته وأسلوبه، والآخر تغلب الثقافات الأوروبية على تكوينه، فيكتب في ظل مذاهب تجعل إنتاجه منبت الصلة عن التراث، وهناك ثالث يتخبط بين الاثنين، أو يضع مزيجا بينهما، فالمسألة عندنا كلها اجتهاد، أساسها الانطباع الشخصي لكل أديب، نظراً لغياب فلسفة ثابتة خاصة به، لذلك ظهرت لدينا الوسطية التي

نبعت من (الأفغاني) و (محمد عبده)، مثلتها مدرسة الرواد والنهضة الحديثة التي ضمت: العقاد والمازني وطه حسين ومحمد حسين هيكل وتوفيق الحكيم، فكانوا جميعا وسطيين، هضموا التراث وتمثلوا الأدب الغربي الذي استفادوا بأشكاله الفنية في الرواية والمسرحية والقصة القصيرة، كما أخذوا من قيم مجتمعهم: إما قيما روحية مثلما فعل "يحيى حقي" في (قنديل أم هاشم)، وتوفيق الحكيم في (أهل الكهف)، أو قيما فكرية، لذا فالمسألة كلها مرجعها الاجتهاد الشخصي، وموقع الأديب من الثقافة المطروحة، فهذا مثلا أديب تربى في حضن "الأزهر"، وذاك في "دار العلوم"، وثالث في كلية الآداب والمدارس المدنية، ورابع سافر في بعثة، فانعكست هذه المؤثرات بالضرورة في إبداعهم، بحيث غلب التراث على ما أنتجه النوع الأول، وغلبت الوسطية على الثاني، والروح الغربية على النوع الثالث، ولكن المؤكد أنه لا يوجد – إلا فيما ندر – انقطاع عن التراث· فكلهم مثلا يكتبون بلغة عربية، هي جزء مهم من تراثنا، وسنجد من تأثر بأيام العرب في (ألف ليلة وليلة)، ونجد ذلك أيضا عند الأجيال الحديثة، وحتى مع الأديب المغترب بنسبة ٩٠%، فنلمس أن علاقته وثيقة بالتراث من خلال قصصه وأساطيره وبلاغته".

قادتني مسألة العلاقة بين الفلسفة والأدب إلى العلاقة بين الإبداع والنقد الفني، وقلت للأستاذ: إذا كنا تفتقر إلى فلسفة عربية ومذهب فلسفي خاص، فهل لدينا مدرسة نقدية، قال: "يجب أن نعترف بأنه حتى

الآن ليست لنا نظرية نقدية، ففي تاريخنا ظهر: ابن سلام الجمحي، وعبدالقاهر الجرجاني، ولكن الآن ليس عندنا منهج يمكن أن يحمل اسم صاحبه، فالناقد عندنا لا يزال تلميذا لمدرسة غربية معينة، و(يا سلام على فرحته وهو بيطبقها علينا)، هو تلميذ يطلب أن تمنحه عشرة على عشرة لحسن تطبيقه، فما أعنيه هو أنه لا يوجد عندنا فكر مبدع في النقد، وكذلك في الفلسفة العامة، لم يقم أحد بفلسفة مجتمعنا في أطواره المختلفة، فلو كان هناك فكرا عاما لانعكس على الأدب والإبداع، وهذا من المقومات الأساسية لبلورة الأدب ودفعة فيما يسمى بـ(الأدب العالمي).

وبناء على هذه الثنائيات المتعارضة في الظاهر، والتي يمكن التوفيق بينها لاستظهار رؤية ثالثة، سألت الأستاذ: بم تنصح الأديب الشاب في ظل ثنائية الأصالة والمعاصرة وتكوينه الذاتي؟ قال: "الأديب فرع أو غصن في شجرة نامية. يجب عليك إذن أن تعرف الشجرة.. لا تكتفي بأن تعرف أساتذتك في الجيل السابق أو أجدادك في الجيل "ما قبل السابق".. عليك أن تعرفهم حتى المنابع الأولى، بفنك الأدبي أو الفنون الأخرى، التي عبرت عن ذاتها في الحضارة التي تنتمي إليها، وأن تقرأ هذا التراث قراءة ناقد، باعتبار أن كل التراث ليس مقدسا.

التراث فيه ما يستحق البقاء، كما أنه يستحق أن تبحث عن القيم الخالدة في كنوزه، لتعطيها الاستمرار وتستمد منها الإلهام، عليك

أيضاً أن تتفتح على الإبداع الإنساني·· لا لتصبح تلميذه، أو تكون أسيره، وإنما لتتذوقه وتهضمه وتستفيد منه، إن كان هناك مدخلا للاستفادة منه من غير افتعال، ومن غير أن تمسح شخصيتك، ومن غير أن تتكلف ما لا تطيق وما لا تحب، عليك أن تستمك أولا وأخيراً بصدقك الأدبي والنفسي".

سألت الأستاذ نجيب محفوظ، عما إذا كان يأمل في ابتداع شكل أدبي عربي خالص، له قانونه الخاص الذي يميزه عن غيره، ويصلح لأن تتمثله الثقافات الأخرى؟ قال الأستاذ بحماس وطني وقومي: "نجح جيلنا في تمصير الموضوع والمضمون، لكن لم يصل إلى هذه الخطوة فيما يتعلق بالشكل.

أنا ما أزال أطمح إلى أن تصبح الأشكال الأدبية عندنا عربية مائة في المائة·· نحن لانزال ينقصنا هذا العبقري الذي يبتدع هذا الشكل، من غير أن يتأثر بأي وافد ·· بمعنى أن لا يتوحد مع أشكال غريبة وافدة مثل (تيار الوعي)، أو (اللا رواية)·· تصور أن بعض الكتاب عندنا يشعرون بمنتهى السعادة، عندما يقلدون نموذجا أجنبيا".

سألته عن مدى تعرضه لمؤثرات ثقافية عديدة من خلال قراءاته في علوم الاجتماع والنفس والسياسة وتاريخ الشعوب· ارتاح لمضمون السؤال: فكر قليلا ثم قال:

"في تصوري أن مادة الأديب الأولى هي اللغة وأدبها، لكن ثقافته العامة لا يجب أن تقف عند حد·· لا يوجد شيء اسمه ثقافة أدبية بحتة مجردة·· الثقافة مفتوحة على كل أجناسه·· يجب أن ندرس كل شيء وآخره الأدب·· بمعنى ألا نقرأ الروايات حتى تلهمنا كتابة الروايات، فأي فن في النهاية ينتهي بموقف ورؤية، لا يمكن لأديب اليوم أن تتأتى إلا بمعرفة كل العوامل المؤثرة في العالم من حولنا، فلا يمكن لأديب اليوم أن تصدر كتابته عن قناعة أجدادنا الفراعنة بأن الأرض تتربع فوق قرني ثور·· الأديب يقرأ في كل شيء، إلا الذي لا يقدر على استيعابه·· لا مانع أن يقرأ في العلوم والتكنولوجيا بالقدر الذي يستطيع فهمه وتمثله".

أنا أدرك بيقين أن فكر نجيب محفوظ معجون بخمائر الفكر السياسي المنعكس على مفردات الوضع الاجتماعي من حيث الكفاية والعدل والعادات والتقاليد والسلوكيات والانتماءات المتعددة.

من هذا المنطلق سألت الأستاذ بشكل مباشر: هل يدخل الظرف السياسي في حساب العملية الإبداعية؟

"الظرف السياسي هو الحياة التي يتلاطم معها الأديب·· أن تأخذ ما يهمك أولا من الظرف السياسي وغير السياسي·· ومع ذلك فهناك من الأدباء من لم يقترب من شواطئ السياسة، وكان أديبا رائعا ومقروءا على نطاق واسع·· هناك مثلا (محمد عبد الحليم عبدالله)، لم تدخل السياسة في حياته ولا شغلت باله، وهو أديب رائع ·· هناك أديب

آخر يهتم بمشاكل المراهقة والحب والزواج والطلاق والتربية، ونجح في اجتذاب آلاف القراء·· أنت إذن في بحر لا نهاية وكل قارئ يستجيب للموجة التي يجد لها صدى في نفسه·· أنت أمام أمواج عديدة لا تتعارض مع نفسها".

سألته عما إذا كان الظرف السياسي يملي عليه انتقاء نوعية الأسطورة أو الحدث التاريخي لينصب في داخله مضمون عمله الأدبي، أومأ بالموافقة وأخذ يشرح تفاصيل رؤيته، قال: "جيلنا سياسي بحكم وضعه·· أما الجيل المعاصر لنا من البريطانيين مثلا، كانت تهمة الرياضة أكثر من السياسة، لأنه يعيش حياة مستقرة، ويملك إمبراطورية لا تغيب عنها الشمس، فعندما يكون هناك مباراة في كرة القدم حامية الوطيس، تنشره الصحف البريطانية في الصفحة الأولى·· أما عندنا فكان الاحتلال والحماية الأجنبية، ومسألة الدستور ونظام الحكم هي شاغلنا الشاغل·· فنحن شعب يبحث عن هويته وبدائيات وجوده·· لذا كان لابد أن تحتل السياسة أعلى المراتب في سلم اهتماماتنا".

عدت سأله عن الحيثيات التي ضمنت له مواصلة العملية الإبداعية دون توقف، وبعيدا عن اليأس والإحباط وغياب العائد المادي المطلوب لجلب الراحة والاستمتاع بالحياة، قال بتواضع المدرك:

"هذا راجع في البداية إلى أسباب ذاتية·· بمعنى أن الذي نسميه إبداعاً أو رغبة في التعبير، هو في الأساس مكون من مكونات هذه الاستمرارية.

بمعنى أن هناك استعداد طبيعي لذلك، يحركه الجدل الدائم بين الأديب والحياة، وبين الحياة في المحيط الخاص والعام، وهو ما ينعكس في شكل إبداع، يأتي من هذا الفرق بين ما هو كائن وما يحب الفنان أن يكون من انطباعاته وتساؤلاته، فإذا توقفت التساؤلات والتفاعلات، فإن هذه الملكة أو الرغبة في التعبير تتوقف بطبيعة الحال.. فهناك أديب قدم رؤيته في عمل واحد وانتهى، وكأنه أحس بأنه قدم كل ما يريد قوله، ويصح أن يكون ما قاله عظيم، لكنه انتهى عند هذا الحد.

وقد تسألني لماذا لم يستمر وهو العبقري؟ فأجيبك بأن الموهبة مثل الإنسان، لها عمر محدد لا تستطيع أن تتجاوزه".

# الفصل الثاني

**كانت عندي تساؤلات كثيرة للأستاذ نجيب محفوظ فيما يخص موضوعات ومجالات متنوعة، تتعلق بالنشاط الأدبي، أردت أن أعرف تصوره لحالة الأدب العربي، والأدب الغربي والأدب اللاتيني، وما هو تصوره للرواية التاريخية، باعتباره أحد مبدعيها، وما هي انطباعاته عن الحركة النقدية ورموزها، وما إذا كان يتبع الإنتاج الشعري، والمسرحي، وما هو تقييمه لجوائز الدولة، وما هو حكمه على فنون السينما والدراما التليفزيونية بوجه عام.**

ومن حيث تناولها لبعض قصصه ورواياته، أعتقد أنني فزت بإجابات مركزة ومكثفة، لا تخلو من رمزية وإيحاءات ذات مغزى، بما يتناسب مع طبيعة وثقافة أديب عالمي كبير، حظيت أعماله بترجمات عديدة لمعظم اللغات، وهي بالتأكيد تختلف عن رؤى ناقد موسوعي محترف، أو مؤرخ لتاريخ الأدب.

وأريد أن أعيد التذكير بأن انطباعات الأستاذ قد ارتبطت بأحداث وملابسات عام ١٩٨٨وما قبله، وقبل حصوله على جائزة "نوبل" بشهر واحد وكان لي معه هذا الحوار

**– ما هو تقييمك للقصة والرواية في العالم العربي الآن؟**

اطلاعي على الأدب في العالم العربي كان نتيجة مصادفات·· لا توجد سوق عربية مشتركة للأدب العربي·· أديب يرسل لي عمل أو يهديني إياه!·· أديب مسافر يعطيني قصته "عرفت من هذه الأعمال المحدودة أسماء جديدة بالنسبة لي ·· مثل (حنا مينا) و(عبد الرحمن منيف)، و(غسان كنفاني) و(الطيب صالح) و(الطاهر وطار)·· القصة تطورت على أيديهم تطورا عظيما·· الرواية الآن في العالم العربي في أحسن أحوالها.

**– هل تنافس الرواية العربية مثيلتها المصرية؟**

هي في مستوى المنافسة·· ولا تقل جودة عن الرواية المصرية.

**– هل يعني ذلك عدم وجود حالة ركود أو ضمور؟**

النشاط الأدبي مستمر من ناحية الإنتاج "كماً وكيفاً"·· الضمور فقط في الجودة·· التراجع جاء فقط في القراء، وليس في الكتاب ·· في التوزيع وليس في الإنتاج·· هناك جوانب قصور مؤثرة.

**– وما هي هذه الجوانب؟**

هناك قصور تعليمي، اجتماعي، اقتصادي، نفسي·· المبدع موجود والقارئ مهموم·· ومع ذلك فالحركة الأدبية مزدهرة ونشطة·· مازال يمكنها المنافسة في عصر التليفزيون، ولكن يصعب عودتها لازدهار ما قبل التليفزيون.

**– سمعت أن لك رأيا مهما في الأديب "عبد الحكيم قاسم"؟**

ما قرأته لعبد الحكيم قاسم يشهد بأنه كاتب جيد وكبير، ويستحق الوقوف عنده.

**– وماذا عن إنتاج "جمال الغيطاني" في القصة والرواية؟**

هو في مقدمة جيله بلا شك، وعلى مستوى العالم العربي.. ترجمت له العديد من الروايات.. في وقت لم يحقق فيه الكتاب العرب وجودهم على المستوى العالمي في مجال الترجمة .. وجودهم يتم في نطاق أكاديمي.. تعرض كتبهم في مكاتب الجامعات.. لهم قراء مهمون وإنما محدودون.. لم يعرف الأدب العربي طريقه للسوق الواسعة.. مثلما حدث مع الكتاب اللاتينيين أو الكتاب السود.

**– أليس من المناسب أن تقوم "هيئة الكتاب" بترجمة الأعمال العربية إلى اللغات الأخرى كخطوة مرحلية؟**

جائز جدا .. الإلحاح والقدرة على التنظيم قد يأتي بفائدة في المستقبل .. ويصح أن يشق للأدب العربي طريقاً في الميدان الواسع في الأدب العالمي، مثلما حدث مع الأدب اللاتيني أو أدب السود.

**– أين تضع نفسك على خريطة الرواية العربية؟**

سؤال صعب.. لا يستطيع الأديب أن يحكم على نفسه حكما موضوعيا.. لا يستطيع أن يتتبع تأثير أعماله في غيره.. لا يكفي أن أقرأ نقدا لأعمالي في غياب ذوق وحكم المتلقي.. ولا يليق أن أحكم على نفسي.

**– ماذا تقرأ لأدباء معاصرين في هذه الفترة؟**

لم أقرأ الكثير منذ عام، وأنت تعرف السبب (يقصد الأستاذ ضعف النظر).. قرأت بعض روايات ترجمها (المركز الثقافي الفرنسي) عن الأدب الفرنسي، وبعضا آخر في سلسلة (الآداب العالمية).. وكانت لي ملحوظتان أساسيتان:

(١) تخلي هذه الأعمال عن الموجات التجريبية، مثل التعبيرية واللامعقول واللارواية.. هذه التجارب اختفت وعادت الرواية إلى أسلوبها الواقعي البسيط.

(٢) هذه الروايات جيدة ولكن ليست فيها قمم .. مثل الأعمال الكبيرة التي هزتنا، من مؤلفات القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين.. لم أصادف "بروست جديد" ولا "توماس مان".

ـ يقال إننا نعيش الآن في زمن الإنسان العادي البسيط، وليس في زمن المثقف الرفيع أو العالي الوعي أو المتنوع المعرفة، وربما يرجع ذلك إلى النمط الاستهلاكي في إشباع الحاجات المادية، وتأثير الصحافة والتليفزيون والإعلام والإعلانات التجارية.

. أنا معك في هذا التصور بدرجة ما .. وسائل الإعلام الحديثة تتوجه إلي الإنسان العادي .. هذا التوجه أثر بعض الشيء في شكل ومضمون الأدب .. القارئ يحتاج الآن إلى جرعة من الترفيه، بعيدا عن عمق الرؤى والتصورات، التي تعتمد على صبر القارئ ورغبته في المعرفة العميقة.

**– هل توافق على تضحية وسائل الإعلام الحديث بالفن الرفيع والرؤى المركبة؟**

يوجد مكسب وتوجد خسارة .. الخسارة هي أن العمق في مخاطبة الصفوة قد تراجع .. المكسب هو اتساع القاعدة المتلقية بدرجة لم تخطر على بال .. الأدب العميق الذي كان يبيع مائة ألف نسخة، كانت هذه الكمية كافية للانتشار .. المسلسل التليفزيوني الآن يشاهده مئات الآلاف وربما الملايين .. هبط العمق في الكتابة واتسعت قاعدة المشاهدين من الجماهير الغفيرة".

**– هل تستطيع أن تغامر الآن بكتابة عمل أدبي للصفوة، وسط ثقافة الإمتاع والمؤانسة؟**

لو فتح الله عليّ بمثل هذا العمل لفعلت‥ ربما يكون ذلك صعبا، لأنني نشأت وتربيت في جو آخر مختلف‥ ثم إنني بلغت درجة من السن تجعل المغامرة غير محسوبة العواقب‥ ولو أنها فشلت فلن تؤثر في نفسي، مثلما تؤثر في كاتب جديد في متوسط العمر، يريد أن يصل إلى الناس بأدوات عصره.

**– هل تنصح الكاتب الجديد بأن يبتعد عن الكتابة للصفوة؟**

لا أنصح كاتبا يريد الجمال المطلق، فأطالبه بالتنازل عنه .. أنا أترك النصيحة لتقديره الشخصي وعزيمته وضميره .. المتلقي العادي هو المرجع الأساسي في تقبل العمل الفني.

**– هل مازال التيار الواقعي في الأدب يفرض نفسه محليا وعالميا؟**

هناك فترة تراجع فيها التيار الواقعي أمام التيارات التجريبية .. عادت الواقعية بسلام ومن غير دعوة .. ما قرأته عالميا هو أدب واقعي .. لا تهرب من الواقع الذي نعيش فيه.. صح أن تقدم بتجارب، ولكنك لا تستطيع أن تهرب من الواقع·· الواقع هو الحياة.. مكنك مثلا أن تكتب بأسلوب المونولوج الداخلي، لكن الزمن الفلكي هو ما نعيش ونكبر فيه ·· كيف إذن تتجاهله؟ ·· نحن ننام ونصحو فيه دون انقطاع.. نعيش ونصحو فيه ولا نعيش دوما في الزمن النفسي.

**– وماذا عن الأدب اللاتيني؟ هل تختلف مقوماته عن الأدب العربي؟**

هو جيد في ذاته·· وواضح تأثره بالأدب الغربي·· لم يأت بجديد، بحيث تقول: "هذا هو أدب أمريكا اللاتينية" ·· حتى "الفانتازيا" الظاهرة في أدب "جارسيا مركيز" سبق أن قرأناها، والفرق هو في تسميتها بـ"الواقعية السحرية" ·· ألم تكن الواقعية السحرية هذه موجوده في "ألف ليلة وليلة"؟ ·· الأدب اللاتيني هو من نوع الأدب الجيد بلا جدال، وسحره الحقيقي هو في تناوله لبيئة جديدة، لم يسبق لنا التعامل معها·· هي بيئة جديدة بناسها وقيمها، غير بيئة أمريكا وأوروبا، في تفاصيل الحياة ومشاكلها واهتماماتها وأساطيرها، وشخصيات جديدة لها طابعها الخاص.

**ـ وماذا عن علاقة الأدب "اللاتيني" والأدب "العربي" بالأدب "الغربي"؟**

الاثنان يتتلمذان على الأدب الغربي·· "ماركيز" مثلا تعامل مع المونولوج الداخلي في رواية "خريف البطريرك"·· هذا الشكل موجود في الأدب الغربي·· معظم الأشكال الحديثة مستمدة من الأدب الغربي.

**– هل تتوافق الظروف السياسية والاجتماعية والاقتصادية بين المجتمع اللاتيني والمجتمع العربي؟**

هذه الظروف تكاد تكون متشابهة·· وأحيانا ما تبدو متطابقة.

**– ما رأيك فيمن يتوحد مع التاريخ ويتعامل معه برؤية معاصرة؟**

هناك أكثر من نوع في التعامل مع التاريخ·· هناك رواية هدفها "التاريخ" ·· تفكك مثلا من عصرك إلى عصر "رمسيس الثاني"، وكأنك تعيش فيه ·· تأخذ من التاريخ ٥٧% ومن الفن ٥٢%، في الأداء والأحداث والأسلوب ·· هناك رواية تأخذ من التاريخ إطار الزمان والمكان، ثم يكون هدفها الترفيه والإمتاع، مثل رواية "الفرسان الثلاثة"·· وهناك رواية تاريخية تخاطب الحاضر من خلال الماضي.

**– كيف تعامل "نجيب محفوظ" مع التاريخ؟**

تعاملت مع الروايات التاريخية بعدة طرق: اثنتان منهما كانت اقتباسا من التراث مثل (عبث الأقدار) و (رادوبس)·· أما (كفاح طيبة)

فكانت تخاطب الحاضر من خلال الماضي من خلال قضية تحرير الوطن·· وهناك رواية (العائش في الحقيقة) فكانت بمثاب "سيرة ذاتية" للفرعون الشهير "إخناتون"، من خلال شهادات متنوعة لمصادر عديدة عاصرت "إختانون"، مثل أمه وزوجته وأقرباءه والمعاصرين له.

وأردت أن أبرز المفارقة النادرة في شخصي هذا الفرعون الذي جمع بين رجل الدولة والشاعر والنبي.

انتقلت في حديثي مع "الأستاذ" إلى موضوع آخر، وهو حركة الترجمة ذهابا وإيابا· ورأيت أن هذا الموضوع يتصف بأهمية بالغة، من حيث جدل التأثير والتأثر والتطلع إلى المستقبل، وحوار الثقافات والحضارات، بديلا عن مفهوم التصادم والإنكار والتعصب، الذي يؤدي إلى العزلة والانطواء على الذات، وكنت أدرك أن هذه السلبيات ليست واردة في أجندة الأستاذ، من هناك طرحت السؤال:

**– هل ترى في حركة الترجمة الآن الأمل المنشود؟**

ليس بالدرجة الكافية.. كانت أكثر نشاطا وتواصلا فيما مضى ·· كنت تستطيع أن تكون منها مكتبة كاملة·· اليوم (١٩٨٨)، لا تكاد تسمح عن الترجمة إلا قليلا، وأقل كثيرا من احتياجاتنا·· ومرجع ذلك هو ضعف القراءة، وظهور موجة سلفية تنظر إلى الخارج نظرة نفور.. مع أن الترجمة في الأدب والعلم والفن هي زاد لا يجب أن ينضب .. إذا لم يقم الأفراد بذلك، فيجب أن تقوم به الحكومات .. قد لا يأتي بعائد سريع،

ولكن يتحتم وجوده .. لاحظ أن اهتمامنا باللغات الأجنبية أصبح أقل من السابق.

**– هل ترتبط الترجمة بعصور الازدهار؟**

هي موصولة تماما بعصور الصعود والنهضة والتتبع للحياة والغد.. والرغبة في تجاوز النفس والرضا المشكوك فيه بالواقع، إلى ما هو أفضل وأحسن.

**ـ هل يلهمك أي عمل مترجم بإضافة ذات شأن إلى أعمالك الإبداعية؟**

ملهمات الإبداع لا حصر لها.. ويصعب جدولتها.. قد تجيء من أي شيء .. محلي أو أجنبي.. عندما ترجمت حكايات (ألف ليلة وليلة) ألهمت معظم كتاب أوروبا، واعترفوا بذلك.

**– ما هو الفرق بين الإلهام والتقليد الذي يصل إلى درجة المحاكاة؟**

التقليد شيء، والإلهام شيء آخر.. الإلهام يعطيك رؤية ذاتية مبدعة تتحرك بها .. التقليد يتوقف عند المحاكاة الخالية من روح المغامرة والتجديد والمبادرة الخاصة المتفردة.

حرصت على سؤال الأستاذ عن رأيه في زملاء جيله من كتاب القصة والرواية، فقلت:

**- كيف ترى أعمال (عبد الحليم عبدالله) و(أمين يوسف غراب)، (عبد الحميد جودة السحار)؟**

تسألني عن زملاء جيلي من الكتاب·· نشأنا معا وألقنا معا·· هذا هو الجيل الذي تخصص في فن القصة والرواية·· كانت مبادراتهم فردية، يؤلفونها على هامش حياتهم الموسوعية·· هم أسسوا هذا الفن وزرعوه، ووهبوه حياتهم من أولها إلى آخرها.

**- أظن أنك قطعت مشواراً أطول من مشوارهم؟**

(بتواضع) هذا الحكم متروك للنقاد، وكتاب التاريخ الأدبي.

**- من هم أفضل النقاد في نظرك الآن؟**

عندنا نقاد كبار وممتازون·· ربما أغلبهم متوقف الآن·· وهناك من هم معروفون للجميع، مثل (لويس عوض) و(عبد القادر القط) و(شكري عياد) و(رجاء النقاش) و(علي الراعي).

**- هل هناك من يمثل تيارا نقديا جديدا·· صاعدا ومتميزا؟**

عندنا نقاد جدد، تولوا الأدب الأحدث من أدبنا، وتابعوه ويتولون رعايته الآن·· مثل (فاروق عبد القادر) و(غالي شكري) و(عبدالرحمن أو عوف)، وهذا على سبيل المثال·· هذا هو الجيل الثاني من النقاد.

**- هل تضيف إليهم الدكتور (صلاح فضل)؟**

هذا ناقد عظيم·· وأذكر أيضا الدكتور (محمود الربيع) وهو من أكبر النقاد.

**– هل تتحدث عن نقاد، أم عن حركة نقدية منهجية؟**

النقاد شيء والحركة النقدية شيء آخر ·· النقاد العظام الآن لم يجدوا الفرصة المهيئة للنقد·· في الزمن القديم . عندما كان للنقد والأدب قيمة، كانت الصحف والمجلات تجري وراء النقاد·· كانوا يكتبون وهم مطمئنون ·· نحن الآن في زمن الصفحات الأدبية الخبرية·· ماذا يكتب فيها ناقد عظيم مثل (عبد القادر القط)·· هل يستطيع كتابة مقالة كاملة؟ ·· إذا كتب واحدة فلن يكتب الثانية·· لا توجد حركة نقدية.

**– هل ظهور أعمال إبداعية عظيمة هي التي تخلق تيارا نقديا واعدا؟**

خلق أدب عظيم يؤدي إلى نقد عظيم.. بشرط أن يتواجد الاثنان في جو صحي.. في الجو العكر، لن يتواجد لا أدب ولا نقاد.

**– أليس من الممكن أن يعثر النقاد على أعمال متميزة للأدباء الجدد؟**

بشرط أن يكون في كل مجلة مكان مخصص للنقد .. حتى يتابع وينشط ويتعب ..حتى يضمن أن يعود بفائدة على تعبه .. فائدة مجزية معنويا وأدبيا وعلميا .. "علي الراعي" عندما وجد مساحة مناسبة في مجلة "المصور"، نقد أدباء مصريين كبارا، شباباً، وأدباء عرب .. كذلك (رجاء النقاش) عندما وجد "بابا" في مجلة "المصور"، أوجد للنقاد مساحات

وأركانا .. تقول إن النقاد لا يتعابون .. هل يتابعون وهم في بيوتهم" .. نشر النقد يكون في دوريات حية وسيارة، يطلع عليه الناس.. مجلاتنا الأدبية تبيع ما بين ثلاثة أو أربعة آلاف نسخة .. شيء يسد النفس في بلد تعداده خمسون مليون نسمة.

في شهر سبتمبر ١٩٨٨ كانت قد سرت تلميحات كثرة في وسائل الإعلام المحلية والخارجية عن قرب الإعلان عند الفائزين بجوائز "نوبل" عن ذاك العام. وتواكبت هذه التلميحات مع احتمال أن يفوز "نجيب محفوظ" بهذه الجائزة في الأدب في أكتوبر من نفس العام (قبل شهر من إجراء هذا الحوار). وضاعف من توقع الاحتمال زيارة المستشرق الفرنسي "أندريه مايكل"، وتلميحه بذلك· وزاد من هذا الترجيح وفاة "توفيق الحكيم" في يوليو ١٩٨٧ (قبل قرابة عام من موعد الجائزة)، إذ توقع البعض أن يكون هو أنسب مرشح بعد إصدار كتابه "عودة الوعي" في منتصف السبعينيات، والذي طالب فيه بالحرية والديمقراطية، بديلا لحكم الفرد بعد غياب عبد الناصر. وضمن هذا البعض أنه لم يكن مناسبا فوز "نجيب محفوظ" بجائزة "نوبل" في حياة "توفيق الحكيم"، بحكم قيمته الأدبية وقامته الفكرية، وأستاذيته لنجيب محفوظ· وهكذا غلب كثيرون احتمال فوز "محفوظ" بالجائزة، باعتباره مؤيداً المشروع السلام العربي الإسرائيلي، ومن كبار دعاة الحرية والديمقراطية، ومعاداة الأنظمة الشمولية، التي انتقدها في أعماله الأدبية، وكنت قد سألت الأستاذ

"نجيب" في ندوة سابقة، عن مدى تصوره للصراع العربي الإسرائيلي، فقال لي بإيجاز ووضوح: "هل نحن قادرون على حسم هذا الصراع بقوة السلاح؟! .. ونحن نعرف أن الغرب يدعم إسرائيل بغير حدود .. لم لا نفكر في سلام عادل يضمن لنا حقوقنا الوطنية، ويتيح لنا فرصة التنمية والنهضة والتقدم؟ .. عندنا أمثلة كثيرة لمثل هذه الحلول.. قبلت "ألمانيا" مشروع سلام واقعي بعد الحرب العالمية الثانية، وبوجود جيوش الحلفاء على أرضها .. راهنت على التنمية والنهضة، فصنعت معجزتها الاقتصادية. كانت أول جائزة "نوبل" عربية محتملة هي موضع سؤالي للأستاذ.

قال المستشرق الفرنسي "أندريه مايكل" عند زيارته لمصر: إنه يرشحك لجائزة "نوبل" رسميا، وإن عدم فوزك بها يعتبر فضيحة للقائمين على هذه الجائزة.

أطلق الأستاذ ضحكته المجلجلة، التي استمرت بعض الوقت، ثم استعاد هدوءه وقال بموضوعية رمزية.

فضيحة في القاهرة وليس في غيرها .. على سبيل الحكمة .. دعنا من جائزة نوبل .. عندما نكون في بلد ٦٠% منها أميون، و٤٠% منها لا يوجد فيهم أكثر من ١% ممن يقرأون .. فالطبيعي أن يكون أدبنا محليا، ثم نطلب له بعد ذلك العالمية؟! لا داعي لأن نشغل بالنا بأشياء

بعيدة .. دعا ننشغل بما تحت أرجلنا .. لا تحلم بقصور وأنت لا تجد في بيتك حصيرة .. دع الأمور لوقتها.

**– النقاد الأجانب هم الذين يطالبون بمنحك الجائزة؟**

(بسخرية واستخفاف) أهو كلام.

**– كيف إذن ترى مستقبل الأدب العربي وسط المتغيرات الحضارية الكبرى التي تجرى الآن؟**

أرى أن الأمور تسير نحو أحد مصيرين.. إما إلى قاعدة محدودة، يشغلها الصفوة من المثقفين، أو إلى الانكسار.. ربما يكون الأغلب هو الاحتمال الأول.. واحة صغيرة للقراءة، حتى لا نحرم من أعمال تتصف بالعمق.. مثلها مثل أعمال الفن التشكيلي، التي تكتفي بزوار المعارض، مراكز إشعاع صغيرة .. لا شيء الآن يستطيع أن يقاوم التليفزيون.

**– ألا تحتمل تراجع الفنون المرئية بعد فترة من الزمن؟**

لا أعتقد .. ما تخلقه الحضارة ليس شيئاً قابلا للتراجع .. مطلوب أن نتكيف معها ونرتفع بها أكبر ارتفاع ممكن، حتى يمكن تقليل الخسائر .. المطلوب هو استثمار التليفزيون، ليصبح مركزا إشعاعا حقيقيا .. لن نخسر شيئا عندما نتكيف مع الواقع الحضاري .. الثقافة موجودة سواء بكلمة أو بصورة.

**– هل المطلوب هو أن تكون الكلمة الفنية جزءا من صورة أشمل؟**

الكتاب في المستقبل سيجرون نحو الفن الرائج··سيتفوق التليفزيون ويتطور بملاحقة الكتاب لإنتاجه· عدت أسأل الأستاذ عن مستقبل فن الشعر، ومدى متابعته له.

**– هل مازلت تقرأ الشعر حتى الآن؟ أو تسمعه؟**

حياتي لا يمكن أن تخلو من الشعر.. كنت أقرأ أي ديوان جديد يصدر، قبل أن يضعف نظري .. الشعر القديم كانت له مختارات، كنا نتابعها بحماس واهتمام.. الشعر غذاء للوجدان الفردي والجمعي.

**– إذا أردت أن أسمعك قصيدة حديثة الآن، هل تسمعها؟**

أسمعها وأكون سعيدا بها .. بعد البيت الأول، أقول لك استمر، أو أقول: "كفاية كدة"·

ثم يطلق الأستاذ ضحكة مجلجلة، قبل أن أعود لسؤاله.

**– هل يوجد شعراء كبار الآن، قرب نهاية القرن العشرين؟**

عندك (البياتي) و(نزار قباني) و(أدونيس) و(أحمد عبد المعطي حجازي) .. هناك أيضاً أجيال شابة صاعدة .. في جلستنا في كازينو "قصر النيل" بالقاهرة، أستمع لشعراء شباب ممتازين .. "عادل عزت" و"نعيم صبري" وغيرهم .. الشعر بخير أيضاً .. ولكن .. إذا كان النثر حدوده عادية، فلابد أن يكون الشعر أقل محدودية.

**– ربما يجد الشعر مبتغاه في الأغنية!**

مثلما يجد النثر مبتغاه في الأعمال المرئية، فالشعر يجد نفسه في الأغنية، ولكن الشعر الحديث نادرا ما يصلح للأغاني.

**– أظن أن شعر "التفعيلة" أخذ طريقه الآن نحو الأغنية؟**

هذه هي سنة التطور.. جيلنا كان يتذوق أغنية الشعر العمودي .. (الكرنك) و(الجندول) و(كليوباترا) و(نهج البردة) و(النهر الخالد) و(رباعيات الخيام) .. الجيل الجديد يسمع أغنيات التفعيلة لنزار قباني·· تطورت أشكال النثر، وكان لابد أن تتطور أشكال الشعر.. العاقل من يقبل سنة التطور.

**– ما تقييمك للجوائز العربية المطروحة الآن؟ ·· مثل جوائز "صدام" و"الملك فيصل"؟**

جوائز يُشكر عليها من قدمها .. هي جوائز تقدم في شتى صنوف الأدب، وبمبلغ محترم وغير رمزي.. وعلى مستوى البلاد العربية كلها .. وهي تقدم لأفضل المبدعين.

**– هل تصل إلى مستوى الجوائز العالمية؟**

لا .. هي على قدر مبدعينا والإمكانيات المتاحة.. لا توجد جائزة مثلا تصل إلى مليون دولار.. ثم إن المطلوب أن تترجم الأعمال الفائزة إلى اللغات الأجنبية، حتى تتحقق الفائدة منها وكذلك الانتشار.

كنت أدرك أن "فن الرواية" قد ظل الشغل الشاغل لإبداع "نجيب محفوظ" · ولم يرصد له غريماً أو منافسا من أجناس الأدب الأخرى، اللهم إلا "القصة القصيرة" التي لا تبعد كثيرا عن روح الرواية، وإن اختلف مبناها السردي· ولا ننكر على الأستاذ كتابته للمقال القصير، الذي يتصف بالتركيز والتكثيف، ويصدر بشكل أسبوعي منتظم تحت عنوان "وجهة نظر" في صحيفة الأهرام، ويتناول أحداث الشئون الجارية· كانت الرواية هي قدس الأقداس، وتنوعت أشكالها ومضامينها عند الأستاذ، حتى إنه لم يترك شكلا من أشكالا الحديثة إلا ووظفه واستخدمه بما يتلاءم مع ذوق المتلقي العربي· وقد سمعت من الدكتور "يحيى الرخاوي" تعليقا على هذا الاختيار الأوحد الذي ربطه بالتكوين النفسي لشخصية الأستاذ، عندما قال لي: "إنني كطبيب نفسي أقف حائرا أمام طبيعة الموهبة الإبداعية لنجيب محفوظ، والتي ليس لها مثيل .. فقد سخر موهبته لجنس أدبي واحد، وحقق من خلاله ذروة النجاح·· واستغنى عن كل مغريات الحياة، مثل الشهرة والثروة والحياة الاجتماعية الصاخبة، والجري وراء الإعلام بهدف تضخيم الذات، ونفاق السلطة واسترضاء النقاد ونجوم الثقافة والفكر والفنون المختلفة··ومن العجب العجاب أن هذه المغريات قد تحصل عليها وسعت إليه دون أن يلهث وراءها .. وقد تتوجب هذه الموهبة بحصوله على جائزة "نوبل"، التي لم يتخيل ولا في المنام أن تأتي إليه .. كانت أقصى أحلامه في بداية مشواره أن يجد ناشرا ينشر له رواية بدون مقابل"·

وبرغم إدراكي لعدم انشغال الأستاذ بـ "أدب المسرح"، فقد خطر لي أن أتعرف على وجهة نظر الأستاذ في هذا الجنس الأدبي، ولو عن طريق متابعته له، من خلال صديقه الصدوق "توفيق الحكيم"، مؤسس المسرح العربي الحديث باعتراف "طه حسين"، ومن خلال قراءاته لمسرحيات "أحمد شوقي" الشعرية، وسألته:

**ـ ماذا تقول عن المسرح المصري بصفة خاصة، والعربي بصفة عامة؟**

المسرح مثله مثل فنون النثر وفنون الشعر.. قطع طريق تطوره بدءا من الكلاسيكية إلى عصر الإحياء إلى عصر التجديد .. جيلي تربى على مسرحيات "شوقي" التي تنتمي إلى مرحلة الإحياء .. وانبهر بمسرحات "توفيق الحكيم" مثل (أهل الكهف) و(السلطان الحائر)، والتي تنتمي إلى عصر التجديد.. كنت أقرأ هذه المسرحيات بعناية واهتمام، ولم تأتني الفرصة لمشاهدتها على خشبة المسرح.

**– هل أفادتك هذه المتابعة في إبداعك النثري؟**

ربما تضمنت بعض أعمالي خاصية الحوار المسرحي.

**– وماذا عن الجيل الثاني من كتاب المسرح الحديث؟**

عندنا جيل جديد رائع.. ربما تجاوز الجيل السابق عليه.. عندنا ألفريد فرج و(صلاح عبد الصبور)..تجاوز هذا الجيل المسرح الكلاسيكي

والرومانسي، واتجه نحو المسرح الواقعي الذي اتخذ طابع التبشير الاجتماعي والنقد للواقع المعاش، والدعوة إلى التحرر والديمقراطية.

**– وماذا عن رأيك في مسرحيات "يوسف إدريس"؟**

مسرحيات جيدة .. اتجه معظمها نحو التيار الواقعي، الذي لم يخل من جرعة فكرية زائدة عند الحد، ما جعلها تواجه بعض الصعوبات في عرضها على خشبة المسرح.. ومع ذلك فقد حظيت مسرحية "الفرافير" بجمهور كبير من المشاهدين، وقد جمعت بين نقد الواقع وبعض الأفكار المطلقة ..وهي تنتمي إلى المسرح التعبيري.

**ـ عندنا أيضاً مسرحيات معروضة تنتمي إلى مسرح العبث واللامعقول؟**

لا أظن أن هذا اللون المسرحي له مستقبل عندنا .. المشاهد مرتبط بحمل ثقيل من التراث والتقاليد والقيم الأخلاقية .. مثل هذا اللون ينجح في الغرب ويتعثر عندنا .. المشاهد ينجذب إلى ما يتعرض لهمومه وعناءاته.

**– وماذا عن المسرح الاستعراضي والمسرح الغنائي؟**

هذا النوع يحظى في رأيي بجماهيرية واسعة وعريضة، بفضل ما يقدمه من متعة وتسلية وترفيه.. وهذا لم يمنعه من تقديم مضامين تاريخية وواقعية.. عندما مثلا مسرحية (الليلة الكبيرة) لصلاح جاهين.

مسرحية رائعة لها مغزى عميق لا يخلو من متعة استعراضية وغنائية.. عندنا أيضاً "نص" (بوابة الحلواني) التي ترتبط بفترة حفر قناة السويس من وجهة نظر شعبية.

**– وماذا عن الطابع الكوميدي في بعض المسرحيات، مثل (البهلوان) ليوسف إدريس، و(خشب الورد) لعلي سالم، ومسرحية (الملك هو الملك) لسعد الله ونوس، وغير ذلك؟**

أوافق على كل ما يقبله الناس، ما دام محتفظا بمضمون مفيد .. وهذا متوفر فيما ذكرت من مسرحيات .. كان المسرح في فترة سابقة يقدم فواجع وتراجيديا ودموعا .. كانت المسرحية الناجحة هي التي تبكي أكثر .. كل زمن له لونه .. الجمهور يختار ما يعجبه.. المهم أن تحافظ على المستوى .. أن ترضي الجمهور دون أن تستخف به وتهبط بذوقه .. أحيانا ما يتفوق تأثير الكوميديا على تأثير التراجيديا.. ما يضحك يكون أكثر تأثيرا من غيره .. الإنسان يريد أن ينفس عن همومه الضاغطة".. الأعصاب لا تحتمل الهم في الحياة وفي الخيال.

سألت الأستاذ: ما إذا كان يتحمس لدخول بعض الأدباء لمجال "الدراما التليفزيونية"، إذا رغبوا في ذلك، فلم يمانع في استجابتهم لأدوات عصرهم، عندما سألته عن كيفية اقتحامهم لهذا المجال، قال:

هذا يقتضي مقابلة وزير الإعلام، والاتفاق معه على إنشاء جهاز لتلقي الأعمال لاختيار ما يناسب ويفيد .. ما يجعل الأمر في يد اختيار واع، بدلا من المساعي الشخصية ولعبة المقاولات.

**– وكيف يوفق الأديب بين خبرته الأدبية، والخبرة المطلوبة للدراما التليفزيونية؟**

إذا كان الأديب سيكتفي بالقصة أو المسرحية، فعليه أن يكتب عمله ويقدمه .. وإذا كان يرغب في المساهمة في المعالجة التليفزيونية، فعليه أن يدرس، وتتاح له فرصة الدراسة والانتفاع بها .. أنا أشجع الأدباء على اقتحام هذا المجال، للاستفادة منه وكذا الإفادة .. أعترف بأنني استفدت كثيرا من كتابة "السيناريو السينمائي" مثلا.

**ـ ما رأيك في الثرثرة التي تدور الآن فوق النيل (ضحكة طويلة مجلجلة)؟**

هي بداية ثرثرة حول الأفكار والحرية.. حول الخبز واللحم أيضا.

**– هل تشعر أن هناك ثرثرة حقيقية؟**

(بإيحاء رمزي موجع) هي هذيان.. هذيان الجوع.

**– هل تتعرض لهذه الثرثرة في أعمالك؟**

لا أحد يخلو منها .. هي تفرض نفسها على الكاتب.. يكفي أن تشتري (كيلو خيار) حتى تعاود الهذيان.

**– هل سنجد صدى لهذه الثرثرة في رواية "مقهى قشتمر" التي تنشر مسلسة الآن في "الأهرام"؟**

ممكن .. يمكن أن تسأل نفسك في نهاية الرواية·· هل وصل أبطالها إلى الغلاء أم لم يصلوا بعد؟

**– إلى أي مدى سيرى الشباب نفسه في هذه الرواية؟**

أظن أنه سيجد نفسه .. الصبيان الذين بدأت بهم سيكبرون وينجبون ·· الشباب سيقرأ جزءا منها، فيجد تاريخا لم يشهده، ثم يجد التاريخ الذي يعيش فيه.

عدت أسأل الأستاذ عن المنشآت الثقافية التي يجرى بناؤها الآن، وهل تكون فرصة مناسبة لإفراز طلائع جديدة من المبدعين والمفكرين والنقاد، قال ببعد نظر:

هي إحدى الوسائل، وليست كل الوسائل ·· شباب سيتجمع حول الموسيقى والغناء ويهتم بها ·· وآخرون سيتجمعون حول الفن التشكيلي·· وغير ذلك من الفنون مثل المسرح والدراسات النقدية·· لابد أنها ستحرك فيهم أشياء، وتكتشف فيهم أشياء.

**ـ وماذا عن خلق المفاهيم المشتركة التي تشخص الواقع، وترسم خطوط المستقبل؟**

النهضة الثقافية تحتاج إلى أشياء كثيرة·· المعاهد وسيلة مطلوبة··

والتنمية الشاملة ملحة لإزاحة الهموم عن المجتمع.. والتعليم الجيد لا فكاك منه .. وكذا تطوير الإذاعة والتليفزيون.

**– ما هي درجة تفاؤلك في إمكانية حدوث ازدهار ثقافي؟**

أنا متفائل بحكم طبعي، وبحتمية توالي التحولات والمتغيرات.

**– تفاؤل واقعي قريب أم تفاؤل تاريخي بعيد؟**

الواقع جزء من التاريخ.. الظروف التي تمر بها، مررنا بها من قبل، ومرت بها أمم كثيرة.

عدت أسأله عن تقديره لنتائج التحكيم في جوائز الدولة التقديرية هذا العام (١٩٨٨) قال: كانت عموما عادلة وجيدة، ولاقت قبولا من المهتمين بشأنها.

**– هل تختلف نتيجة هذا العام عن الأعوام السابقة؟**

(بلهجة رمزية) المصادفة جعلت نتائج هذا العام مقبولة.

لا أعرف لماذا لم يخطر ببالي أن يكون "نجيب محفوظ" شغوفا بحب الموسيقى والغناء (العربي بالطبع).

(هشت ذات مساء عندما تزامن حضوري لندوة (الشانزليزيه) مع حضور الأستاذ، قبل أن يدخل كلانا إلى مقر الندوة سمعته وأنا أسير وراءه يرتل مقطعا لأغنية قديمة، لم أكن أعرفها أو سمعتها من قبل. وعندما سألت رفيق عمره السكندري البسيط المكتفي بتذوق رواياته، الأستاذ

"عصام الإنه"، عن مدى شغف الأستاذ بالغناء، قال لي: إنه أحد كبار عشاق المغنية "منيرة المهدية"، ويحفظ ويردد الكثير من أغانيها.

ثم حانت فرصة مناسبة في ندوة "سان استيفانو"، عندما جرى الحديث حول فن الغناء المصري· انتهزت الفرصة لسؤال الأستاذ عن مدى تذوقه للغناء، أبدى سعادته بالسؤال، وبدا كأنه يستحضر بعض مقاطع غنائية مخزونة في الذاكرة، يمتزج فيها الماضي بالحاضر، وارتباط النشوى بما صاحبها من أحداث· قال بارتياح: أنا كما تعرف، أنتمي لجيل سابق .. من هنا تنقسم إجاباتي للسائلين إلى ماض وحاضر .. جيلنا كان يعتبر "منيرة المهدية" هي سيدة الغناء العربي آنذاك الوقت، ونجمة مدرسة "التطريب" في الغناء.. كنا نردد بعض مقاطع من أغانيها في صحونا ومنامنا.. ثم تغير الزمن وأصبحت "أم كلثوم" هي سيدة الغناء العربي، التي جمعت بين الغناء الكلاسيكي في بداياتها ثم انتقلت إلى "المدرسة التعبيرية" الحديثة في الغناء .. لم أفقد شغفي بالغناء الكلاسيكي، وإنما أضفت إليه انسجامي مع الغناء التعبيري، حتى إنني سميت إحدى بناتي بـ "أم كلثوم".. جمعت "أم كلثوم".. بين روائع قصائد كبار الشعراء، مثل شوقي وحافظ إبراهيم وأحمد رامي، وبين روائع كتاب الأغاني العامية، مثل "أحمد شفيق كامل"، و"أحمد رامي"، و"بيرم التونسي".

**– وماذا عن "محمد عبد الوهاب"؟**

هو فنان عبقري، جمع بين التلحين والغناء، مثلما جمع بين الموسيقى العربية الأصيلة والموسيقى الغربية بما يناسب الذوق العربي.. وجدت في البداية صعوبة واضحة في تذوق هذا المزج الجديد.. ثم أصبح مألوفا لي بعد فترة .. حتى إنني كنت أصاب بالدهشة والإعجاب، عندما ينتقل في أغانيه من الجرس العربي إلى الجرس الغربي ببراعة مذهلة، خالية من أي نشاز أو غرابة .. ثم ألفت مع الوقت هذا اللون البديع المجدد في الغناء العربي.

**– ربما تشير إلى أن "عبد الوهاب" جمع بين الأصالة والمعاصرة .. بين الموروث الشرقي والوارد الغربي؟**

بالضبط .. هذا ما حدث .. فعل "عبد الوهاب" في الموسيقى والغناء، ما فعلناه نحن الأدباء في القصة والرواية والمسرح.. تواصلت عملية التهجين للمكتسب الغربي، لتحقيق التجديد في الموروث العربي .. تعبيرية في الأدب .. في الغناء .. في الفن التشكيلي .. في الموسيقى.. في المسرح، وغير ذلك.

كان قد جرى الحديث في إحدى الندوات حول جهود د. لويس عوض في مجال الفكر والنقد وتاريخ الآداب. كان هناك من انحاز إليه باعتباره مجددا وناقدا متفردا، يستوعب الموروث العربي، ويلم بموسوعية فائقة بالثقافة والفكر الغربي، قديمه وحديثه، ولا سيما الحضارة اليونانية القديمة.

وهو من أشاد بثورة التجديد في النقد والأدب العربي عند طه حسين، وتوفيق الحكيم، وصلاح عبد الصبور، ويوسف إدريس· وكان هناك من عاب عليه أنه ينحاز إلى الفكر والأدب الغربي على حساب التراث العربي، الذي أحيانا ما كان يرجع أصوله إلى موروث غربي، ينتمي إلى اليونان وعصر النهضة والعصر الحديث.

لاحظت أن الأستاذ نجيب محفوظ بدا متحفظا، وربما محايدا، أمام ما يسمع· لم أشك في أنه يعطي الرجل قدره وتميزه وإلمامه بثقافة موسوعية، وكثيراً ما كان يذكره ضمن كبار النقاد المحدثين· ومع ذلك شعرت بأنه يأخذ عليه مأخذا لم أعرفه· وعندما سألت واحدا من المقربين إليه، قال لي: إن "لويس عوض" كان يتعاطف مع "طه حسين" أكثر من تعاطفه مع "عباس العقاد" الوفدي، الذي يكن له الأستاذ إعجابا كبيرا بعلمه ووفديته· لم أكتف بهذا التفسير إذا تبين صحته· قررت أن أستوضع حقيقة شعور الأستاذ نحو"لويس عوض" بطريقة غير مباشرة، فسألته عن رأيه فيما كتبه "لويس عوض" عن أعماله، فقال بمنتهى الوضوح والصراحة:

الكل يعرف أنني لا أنكر تقديري للأستاذ "لويس عوض".. ثم إنه كتب دراسة ممتازة عن روايتي "الطريق".. ولكنه عندما تعرض لثلاثية (بين القصرين ـ قصر الشوق ـ السكرية) قال "إنني كتبتها تحية لثورة يوليو ٥٢"، ولم تكن هذه هي الحقيقة.. صحيح أنني نشرتها ما بين عامي

(١٩٥٦ . ١٩٥٧)، ولكنني كتبتها قبل قيام الثورة.. كانت الثلاثية كما تعرف هي رواية أجيال، تعبر عن شكل روائي جديد غير مسبوق، وتستحق الدراسة والتقييم الفني الديقي، ولا يجوز اختزالها بتعليق متسرع، "يقول بأنها تحية لقيام الثورة".. أعترف لك بأنني لم أغفر هذا التسريع في الحكم .. اعتبرته موقفا شخصيا من ناقد، له حساباته الخاصة، ويستحق في العتاب وربما التأنيب.

# الفصل الثالث

**كنت حريصا على سؤال الأستاذ "نجيب محفوظ"، عن مفهومه لرواية "تيار الوعي"، لا سيما أنه استخدم هذا الشكل الفني في بعض رواياته المتأخرة، من خلال استبطان العوالم الداخلية لشخوص أبطال الرواية، ومع ذلك لم تتطابق تجربته مع مثيلاتها من أصحاب هذا التيار من كتاب الغرب· كان يتعامل مع دواخل شخوصه، دون أن يستبعد النسيج الواقعي لمبنى الرواية، كانت هناك الحبكة الروائية، جنبا إلى جنب مع تداعي الأفكار المكنونة للشخصيات.**

وقد ظهر ذلك جليا في روايتي (ثرثرة فوق النيل) و (ميرامار)، مما يشي بالتوفيق بين الأشكال الحديثة للرواية وذوق وطبيعة المتلقي· وكان لي هذا الحوار مع الأستاذ في هذا الموضوع:

**– ما هو الفرق بين تداعي الأفكار التلقائي، وتداعي الأفكار في رواية "تيار الوعي"؟! وهل هناك فرق بين التلقائية العفوية لتداعي الأفكار، والتلقائية الكامنة في رواية "تيار الوعي"؟! أم أن الحبكة الروائية تتجاور مع عملية التداعي؟!**

"خل بالك".. الفن فن.. سواء كان أسلوبه تقليديا أو تيار وعي .. لابد أن تستخلص منه في النهاية رؤية ومعنى .. تداعي الخواطر، بمعنى

أحلام يقظة متجاورة، قد لا تؤدي إلى شيء .. لكن الذي يضبطها فنيا أنها تكون تحت سلطان عاطفة واحدة، أو فكر داخلي باطني واحد.. هذا عامل ضبط وتوجيه.. وفي النهاية تستخرج رواية كاملة مكتوبة بأسلوب جديد.. وليست مجرد خواطر بلا ضابط.

**– فهمت أنك تقصد ضرورة توفر وحدة إحساس ووحدة موضوع هل هذا صحيح؟**

"مفيش كلام"· إما وحدة إحساس وعاطفة في باطن الكاتب.. أو نموذج فني معين يجرى الاهتداء به .. مثل رواية "عوليس" الكاتب الشهير "جيمي جويس"، أحد كبار مبدعي هذا الشكل الأدبي.

**ـ وماذا يفرق بين أسلوب "تيار الوعي" وبين الأسلوب التقليدي السابق عليه؟**

الشكل التقليدي يعتني بالواقع الخارجي، ويركز عليه أو يزاوج بينه وبين العالم الداخلي..تيار الوعي يقدم التجربة الإنسانية من خلال الداخل.. المهم أن يختار الكاتب ما يحظى بقبول المتلقي.

أردت أن أعرف مفهوم الأستاذ لمصطلح "العاصمة الثقافية" للمعارف العربية فسألت.

**– هل ما زالت القاهرة هي العاصمة الثقافية التي تنفرد بالفكر الخلاق والإبداع المتميز، أم تتنازعها عواصم عربية أخرى؟**

أتصور أن هذا المفهوم يعني مركز الإشعاع الذي ينتج الفكر الجديد والفن الجديد، ثم ينتقل إلى باقي المحيط المتجانس المتحلق حول هذه العاصمة، التي تمثل القوة الناعمة لثقافة مشتركة.. الطبع والنشر والتوزيع مسألة ثانوية..جاء وقت كانت القاهرة هي مركز الإشعاع.. ومع ذلك، فهناك عواصم أخرى تعطي فكرا وفنا: دمشق ، بغداد ، بيروت ، المغرب ، مصر الآن تمر بظرف حرج، فهي في حالة إعادة بناء ومعاناة في نواح كثيرة، وهي تعيد قراءة واقع متغير ومرتبك·· الثقافة فيها في حالة انكماش بحكم الظروف.. هي ما زالت عاصمة الكفر، لكنها تشارك في تقديره من خلال عواصم أخرى .. لم تعد وحدها في هذا المجال.

**– هل الريادة تسبق مشروعات النهضة والتغيير أم تلحقها؟**

ما جعلنا روادا في وقت ما، هو سبق النهضة في مصر قبل غيرها وسبق الحضارة .. مشروعات النهضة تكشف عن المواهب .. ربما كانت هناك مواهب قبل النهضات، ولكنها تكون مغمورة لا يدري بها أحد·· الحضارة توجد المناخ المناسب للكشف عن المواهب.. جيلي من الكتاب كان نتاج ثورة ١٩١٩، الداعية للاستقلال والديمقراطية.. التغيير ألهب خيال الأدباء والمفكرين.

**– هل يمكن أن يسبق الرواد التحولات الثورية؟**

ممكن جداً.. المفكرون والأدباء في فرنسا (مثل فولتير وغيره) سبقوا قيام الثورة الفرنسية وأرهصوا بها.

**– هل الريادة تعني برصد الواقع أم بالتبشير لمستقبل أفضل، يتبناه الأدباء والمفكرون؟**

أتصور أنك تسأل عن الفرق بين تسجيل التاريخ، كوقائع وأحداث، وبين رؤى المفكرين ونبوءات الأدباء والفنانين.. التاريخ يسجل ما حدث بهدف الوصول إلى الحقيقة في حدود الإمكانيات الإنسانية.. ويعتمد على الموضوعية التوثيقية التي توصل إلى الحقائق.. الفن يقدم التجربة الإنسانية، كما يمكن أن تحدث من وجهة نظر المبدع.. وربما يجمع ما حدث وما يمكن أن يحدث على وجه الضرورة، والاحتمال كما يقول "أرسطو".

**– وكيف يتعامل الأديب مع مقولة: "ما يمكن أن يحدث" في عمله الإبداعي؟**

المبدع يحركه انفعال ما بعاطفة معينة، بإحساسه بحدث ما.. بفكرة تشغله.. كل همه هو أن يجسد ما يحركه في عمل.. الواقع من ضمن العناصر التي يستمد منها الحبكة الفنية.. هو يلجأ إلى الواقع ليشكل الصورة التي يريد أن يخلعها، ويعيد خلقه، بحيث يخدم الصورة المرجوة.. هو لا يخضع خياله للواقع.. وإنما يخضع الواقع لخياله.

**– إلى أي مدى تتحكم التجربة الشخصية للمبدع في عمله الفني؟**

لا فرق بين التجربة الشخصية والتجربة العامة·· كل تجربة تنتهي إلى أن تصبح شخصية·· ما يحدث لي هو تجربة شخصية·· ما أعرفه عنك يدخل في معلوماتي الشخصية·· ما أعرفه عن الحياة الواقعية والثقافية يصل إلى وجداني، فيتحول إلى تجربة شخصية·· كل هذا له معين واحد هو وجداني الشخصي·· ومنه أستمد عملي الفني·· لا أفرق بين شيء وآخر·· قد يدفعني للعمل شخص قريب مني، مثل ما حدث في رواية "الكرنك".

**– "نجيب محفوظ" دهاليز الماضي وآفاق الحاضر وإرهاصات المستقبل، ماذا تقول؟**

كل إنسان يعيش في دهاليز الماضي، ويعيش في الحاضر·· ومعيشته في الاثنين تتضمن تطلعه للمستقبل·· لا أجد فرقا بين الدهاليز الثلاثة·· غاية ما في الأمر: هناك فقط من يكون تعلقه بالماضي أكثر وضوحا، أو بالحاضر أكثر، أو بالمستقبل أكثر ·· الفرق يكون في درجة التعلق أو تغليب دهاليز على دهاليز ·· الأديب يحاول أن يحدث توازنا وتواكبا مع العوالم الثلاثة·· كلهم يتداخلون ويتبادلون التأثير والتأثر.

**– هل كتبت عملا لمجرد إثبات حالة، أو بدافع الانفعال الشخصي البحت؟**

يصعب تحديد مثل هذا الانطباع مقدما .. المسألة مسألة انفعال بشيء ما، أصبح مهموما بتجسيده .. "يطلع ماضي .. يطلع حاضر.. يطلع مستقبل".. هذه أشياء لا يجرى التوقف عندها.

**– إذا عاد بك الزمن إلى الوراء .. هل تعيد الالتحاق بقسم "الفلسفة" أم قسم "التاريخ" أم غيرهما؟**

لا هذا ولا ذاك .. ألتحق بقسم أدبي: لغة عربية أو إنجليزية أو فرنسية .. ثم أدعم ثقافتي بكل شيء ممكن: علم .. تاريخ .. فلسفة .. علوم النفس والاجتماع.. التخصص في رأيي يجب أن يكون في الفن الذي يختاره الإنسان في الحياة بوجه عام.

**– كيف تتعامل مع ما ترفضه من مواقف؟**

أنت ترضى عن موقف أو تسخط على موقف آخر.. وهذا يظهر في تركيبة القصة وفي الحوار.. أما في الحياة العامة فهناك وسائل أخرى في التعبير .. وقد تتنوع رؤيتك للموقف حسب جنس الكتابة.. هناك مثلا موقف تكتبه في مقال، فيظهر في شكل مختلف عما إذا كتبته في قصة.

**– كيف تختلف مع من تختلف معه في موقف أو رؤية؟**

أنا طول عمري أربي روحي تربية ديمقراطية .. والتربية الديمقراطية تقتضي منك أن تقبل بالرأي الآخر المخالف.. وتعطي المخالف الحق بالاحتفاظ برأيه، إذا تعذر الاتفاق.

**– ألم تصل أحيانا إلى درجة التصادم مع المخالف؟**

ربما حدث هذا في مرحلة عدم اكتمال حسي الموضوعية والديمقراطية .. الشباب فيه هوس وانفعال وتعصب واحتداد .. الديمقراطية تحتاج لتربية طويلة .. ليست مجرد مؤسسات، وأحزاب، ليست تصريحات تأييد ومعارضة .. الديمقراطية تحتاج إلى خلق وسلوكيات مدربة والقدرة على قبول الآخر.

**– هل ينسجم موقفك من الديمقراطية مع استعداد شخصي وطبيعة خاصة؟**

"مفيش" طبيعة خاصة .. لا أحد يخلق بطبيعة ديمقراطية .. غرائز الإنسان الفطرية تدعوه إلى التسلط.. الديمقراطية خلق .. والخلق تخلق وتربية.. ضبط النوازع الفطرية لصالح الجماعة.

**– هل هي مكتسب عائلي أم نتاج تربية سياسية؟**

الديمقراطية تربية سياسية في الأساس .. ولدنا في زمن لم تدخل فيه الديمقراطية البيوت .. كانت البيوت خاضعة لسلطة الأب والأم، وفي المدرسة للمعلم .. التربية أتت من السياسة والأحزاب والتعددية في الرأي،

ومن الوعي الوعي العام.. بعيدا عن أبوية الفرعون والسلطان والملك والإمبراطور، وولي الأمر.

**– هل يتربى شبابنا حاليا تربية ديمقراطية؟**

تذكر أننا قضينا ثلاثين عاما ونحن نلعن الديمقراطية .. ونمارس نظاما ديكتاتوريا..كثير من الشباب الآن يحتقر الديمقراطية لدوافع سلفية مغلوطة، أو بدافع الولاء لحاكم فرد .. ربما نتحول الآن نحو قيم الديمقراطية .. مطلوب أن ننقي الشباب مما رسب في نفوسهم ونعيد تربيتهم .. سمعت وزير التعليم يقول: إن المناهج الجديدة تقدم على المناقشة وليس على الحفظ والتلقين .. هذه ديمقراطية .. خطوة متقدمة طالما دعونا إليها.

**– وماذا عن التربية الديمقراطية في المجال الأسري والعائلي؟**

الأسرة الآن غير الأسرة في أيامنا ..كانت في الماضي قائمة على الطاعة والامتثال .. هي الآن غير قائمة على مفهوم الطاعة القديم، ولا مفهوم الديمقراطية .. ربما تكون قائمة على التمرد .. الابن الآن يتصادم مع أبيه.. ليس بالمناقشة وإنما بالتمرد واللامبالاة .. ليس بالمناقشة المفتوحة بين الأب والأم والأبناء .. أن تقنع وتقتنع .. لم نصل إلى هذا .. خرج الجيل الجديد من طور الطاعة .. ومع ذلك فالتمرد أفضل مقدمة طبيعية للديمقراطية، التي لا تتحقق بين يوم وليلة .. "استيعاب دواعي التمرد، تقود المتمرد إلى مراجعة النفس.

في ليلة من ليالي "سان استيفانو"، جرى الحديث حول رسالة "توفيق الحكيم" إلى "محمد حسنين هيكل" التي قال لها فيها: "إن حالتي تشبه حالتك .. أنت كتبت كتابك "خريف الغضب" فاعتبر هجوما ضد السادات بعد موته .. وأنا كتبت كتاب "عودة الوعي" فاعتبر هجوما على "عبد الناصر" بعد موته .. وفسر العالم العربي موقفي بأنه "عدم وفاء"، وربما "النفاق" لعهد آخر".. ثم تواصل الحديث حول رد "هيكل" على رسالة الحكيم"، وكان أهم ما ورد في الرد قول "هيكل" له: "كان كتابك تقييميا من وجهة نظرك لعصر، وقد أصدرت أحكاما على رجل وعلى سياسات .. أما كتابي "خريف الغضب" فكان استقصاء من واقع دراستي لحادث المنصة .. لم أكتب رأيي في السادات بعد موته، وإنما (كتبته) في حياته، وما كتبته بعد موته هو نتائج دراستي لما حدث .. لقد صدر كتابك "عودة الوعي" في ظل هجمة شرسة، لها دواعيها السياسية، تعيد تقييم "عبد الناصر" والنظر إليه من جديد .. لم يكن كتابي موجها إلى العالم العربي، وإنما العالم الخارجي، قبل أن تتم ترجمته إلى اللغة العربية .. أليس غريبا أن عملك الفني الكبير "بنك القلق"، الذي هاجمت فيه توحش جهاز أمن الدولة، جاء في الوقت الذي كان وعيك فيه غائبا، كما قلت أنت، وعندما عاد وعيك إليك، ظللت صامتا، لم نقرأ لك شيئا عن فساد أو غلاء أو غياب الحرية والديمقراطية .. والشيء الذي يستحق النظر هو أن صديقك المشترك (الأصيل) "نجيب محفوظ" كتب قصصه النقدية الشهيرة "السمان والخريف"، و"اللص والكلاب"، و"ثرثرة

فوق النيل"، و"ميرامار"، في نفس فترة غياب وعيك، وهو لم يقل إنه كان غائب الوعي .. انتقد السلبيات في حياة مرتكبيها، ولم ينتقدها بأثر رجعي .. اختار المواجهة المباشرة بصراحة".

أذكر أنني توقفت طويلا أمام وصف "هيكل" لنجيب محفوظ" بـ "الأصيل" لم أشعر بأنه كان وصفا عابرا، وربما قصد أن يعقد مقارنة عفوية بين "الحكيم" و"محفوظ".. بين من قال إنه كان غائبا عن الوعي، ومن كان وفيا لوعيه.. انتهزت مناسبة هذا الحديث، وطلبت من الأستاذ تعليقا على وصف "هيكل" له بـ"الأصيل"، فالتزم بتواضعه، كعادته، وقال بموضوعية: "الكل يعرف أنني اختلفت مع الأستاذ "هيكل" في مسألة تقيد الحريات الخاصة والعامة في عهد "عبد الناصر".. ومع ذلك أذكر له أنه ساعد أدباء ومفكرين علي توصيل أصواتهم عبر منبر صحيفة الأهرام.. في رأيي لو لم يحترف هيكل الصحافة لأصبح أديبا مرموقا".

صممت على سماع رأيه في مسألة الأصالة، فصمت قليلا كأنما يرتب أفكاره، ثم قال: ها فرق بين انتقاد حقبة في زمن سريانها، وبين تقييمها ودراستها بعد زوالها .. هذا هو الفرق بين الاعتراض والتاريخ .. المعترض يستعمل أذنه وعينه، والمؤرخ يستعمل أذنه فقط، لأنه لم ير شيئا بعينه .. كان موقفي من "عبد الناصر" و"السادات"، هو موقف المعترض الأمين .. انتقدتهما في حياتهما من منظور أدبي، من خلال أعمالي التي أعرف أنك تابعتها .. واجتهدت في تقييمها بحس أديب في كتابي "أمام

العرش" (حوار بين الحكام) في عام ١٩٨٣، وفي روايتي يوم قتل الزعيم" في عام ١٩٨٥.. تبنى عبد الناصر العدالة الاجتماعية وكرامة الوطن والعروبة والدعوة للتحرر، واهتزت إنجازاته بغياب الإرادة الشعبية وتغليب الولاء على الكفاءة .. تبنى السادات الديمقراطية والانفتاح والدعوة للسلام، واهتزت إنجازاته عندما قام بثورة ديمقراطية في ١٥ مايو ١٩٧١، ثم صفاها بثورة مضادة في ٥ سبتمبر ١٩٨١، وسمح باستشراء الفساد والغلاء في ربوع البلاد، وتمديد فترات الرئاسة إلى ما لا نهاية.

لم أنس ذلك اليوم، الذي كان أحد أيام ندوة "الشانزيليزيه"، عندما بدا "نجيب محفوظ" غاضبا على غير عادته، وعازفا عن الاستماع لحديث "توفيق الحكيم" عن نظرية "المستبد العادل"، الذي كان يرى فيه أنه أنسب نظام لحكم مصر. لاحظت أن "الأستاذ نجيب" ينظر في ساعته من آن لآخر، وهو يجز على أسنانه، ويتعجل موعد انصرافه في الواحدة ظهرا. وما إن حل الموعد حتى نهض واقفا بتوتر وعصبية، وهو يحمل صحفه ومجلاته، ويرمق "الحكيم" بنظرة عتاب، وهو يقول له بانفعال زائد يوحي بأنه لا ينظر رداً: "كفانا ما سمعناه منك عن المستبد العادل .. تنبأت به في رواية "عودة الروح"، وكفرت به في كتابك "عودتك الوعي".. ومازلت تحدثنا عنه وتنظر ظهوره.. كيف يجمع أي حاكم بين نزعة الاستبداد وتحقيق العدل؟!

من الذي يحاسبه ويعطيه الشرعية غير شعبه.. ولي زمن السلطة الأبوية".

انصرف "الاستاذ" وأنا في حالة دهشة وذهول. كانت أول مرة ألاحظ فيها أن "نجيب محفوظ" يمكن أن يمتد ويغضب. وقد أدركت فيما بعد سبب غضبه وحدته في هذا الموقف، فقد كان يصدر عن إيمان مطلق بالسلطة الشعبية، التي تضمن تحقيق ثنائية الحرية والعدل، تحت راية الشرعية. تذكرت هذا الموقف في إحدى ليالي "سان استيفانو" فقررت أن أستوضح صلة الأستاذ بتوفيق الحكيم، سألت:

**– ماذا عن علاقتك الحميمة بتوفيق الحكيم، هل كانت لها ظلال وبصمات؟**

كان الحكيم (رحمه الله) مدرسة لنا في الفن .. لكل جيلنا وفي جميع الأشكال الأدبية .. هذه علاقة أقوى وأدوم من العلاقة الشخصية. وقد استمرت مدة طويلة .. "نذكرها كعطر الأحباب" كما يقول يحيى حقي .. هي علاقة أستاذية، أكثر منها علاقة خاصة.

**– هل أجازت علاقة الأستاذية حق الاختلاف؟**

هذا حق طبيعي .. الاختلاف دليل السواء النفسي .. دليل الصحة والعافية .. ضمان لاستمرار النهضة والتقدم والتغير للأفضل.. ليت الحكام يعترفون بهذا الحق، ويتعاملون معه عن طيب خاطر.

سألت الأستاذ عن الإعجاز الطبيعي الكامن فيما هو متناهي الصغر ومتناهي الكبر، فقلت:

**– هل يجوز أن يتضاءل الإنسان بعدما اكتشفه من مدى اتساع الكون ولا نهائيته؟ .. ملايين الشموس وملايين الكواكب ولا محدودية الأفلاك .. ومع ذلك .. أليس في داخل عقل الإنسان كون أكثر اتساعا ورحابة وتعقيدا من الكون الطبيعي؟!**

أنا لم أقم بقياس ما هو متناهي الكبر وما هو متناهي الصغر، والذي يتضمنه سؤالك .. الإنسان قد يدرك ضآلته بمعنى الصغر بالنسبة للكون بحجمه الهائل .. لكن هذا لا يعني التفاهة .. هناك فرق بين الصغر والتفاهة .. أنا كوني صغيرا ودوريا صغيرا، فذلك لا يعني أنني تافه .. الكون الإنساني الصغير يثير العجب مثل الكون الكبير .. ثم من الذي تعرف على الكون الكبير؟ .. أليس هو الإنسان الصغير؟ العلم الآن يكتشف عوالم مذهلة داخل جزيء الخلية الأولى، مثلما يكتشف لا نهائية الأفلاك والمجرات. ثم قادنا الحوار إلى مفهوم "الأسطورة" قديما وحديثا. سألت:

**ـ أدباء "اللامعقول" في أوروبا يقولون الآن: "نحن نبدع أساطير عصرنا وزماننا.. لم تعد الأساطير القديمة تشبع حاجاتنا الإبداعية". ما رأيك في هذه المقولة؟**

الأديب والفنان حر فيما يتخذ بأي أسلوب .. ويجرب أي تجربة.. نستطيع أن نفهم ما تسميه "أساطير حديثة" بحكم ارتباطها

بقضايا العصر، وما ترمز إليه .. الأساطير القديمة ارتبطت بزمانها، وكان لها مغزى ترمز إليه .. أنا أفهم أسطورة "إيزيس وأوزوريس"، وربما لا أفهم الأساطير الحديثة.

– قلت لي منذ فترة إنك أعجبت بمسرحية "جودو" لصمويل بيكيت؟

– هي مسرحية رائعة .. أعجبتني بلا جدال.

**ـ ألا تتضمن هذه المسرحية خيالا أسطوريا، عندما يقرر بطلاها الانتحار شنعاً على شجرة؟**

أتصور أن هذا المسرح الطليعي الجديد بمختلف أشكاله ينتمي إلى المنابع الأولى لفن الدراما، حيث يتسم بطابع شعائري.. وأحياناً ما يستمد مادته من الأحلام، التي تصبح وسيلة لاستجلاء حقائق الواقع.. بمعنى أنه التضاد بين الحلم واليقظة.. وقد يتخذ طابعاً "ميتافيزيقياً" يتصف بالشاعرية.

**– وما هي رسالة هذا المسرح؟**

تعبير عن أزمة حضارة .. الحضارة الغربية بعد أهوال الحرب العالمية الثانية .. وعلى كتاب ما بعد الحرب بالأزمة، فتمردوا على الواقع، وعبروا عن تمردهم بصور كوابيس لا واقعية، سموها "اللامعقول".. نفذوا إلى الواقع الحق، واستنبطوا ما فيه من عبث وخواء .. الحس الدرامي يكمن في وعي بطل الرواية أو المسرحة بأزمة وجوده، ومع ذلك يواصل حياة، افتقدت المعنى والدافع .. قدم هذا التيار الفني شهادة على أزمة

حضارة في مرحلة ما .. وأتصور أن الغرب قد تجاوز هذه الأزمة، فعاد إلى المعقول بدلا من "اللامعقول"، ما أدى إلى تراجع هذا الشكل الفني.

**- وماذا عن مسرحية "التنين" ليونسكو؟**

تنين ضخم داخل حجرة .. ينمو ويتمدد ويضغط، على كل ما حوله حتى يخرج من الشبابيك والأبواب بأذرع وأطراف طويلة، ترفع إنسانا مذعورا، وتطرحه خارج المكان.

هذا تشبيه آخر .. يتعرض الإنسان لمخاوف تملك عليه حواسه وعقله، وتضغطه بحيث ينهار تحت ثقلها.. جسد "يونسكو" مخاوف الإنسان بهذه الصورة .. نوع من الفن التشكيلي .. إذا أراد البعض تسمية هذه الصور بمسمى "الأساطير"، فليسموها كما يشاءون.

عدت مع الأستاذ إلى موضوعه الأثير المحبب إلى نفسه، وهو موضوع "الرواية"، فسألته:

**- ما هو مفهوم مصطلح "الرواية النهرية"؟**

هي رواية الأجيال .. يصور الأديب رؤيته من خلال جيلين أو ثلاثة أو أربعة، كما يشاء .. المتغير فيها هو الزمن .. الزمن يتقدم والناس تتغير .. وكذلك القيم والأفكار والآراء.

**- كيف نشأ هذا الشكل؟ ما هي دوافعه الفنية والمضمونية؟**

الدافع الفني واحد في كل الأشكال .. تقديم التجربة الإنسانية .. واحد يقدمها من خلال شخصين، أو من خلال عائلة، من خلال

شارع، من خلال مدينة، من خلال وآخر قارة، من خلال الخمس قارات .. واحد يقدمها من خلال الزمن.

- أعرف أنك مارست هذا الشكل الفني في روايات كثيرة.

قرأته عند "طه حسين" في روايته "شجرة البؤس" .. قرأت عنده في كتب تاريخ الرواية .. قرأت نماذج منه في بعض الروايات التي أتيح لي الاطلاع عليها، مثل رواية "الحرب والسلام" لتولستوي، ورواية "آل جروجر" لتوماس مان .. الأدب الأوروبي فيه الكثير من أشكال الرواية النهرية.

**- ذلك يعني أن هذا الشكل الروائي ليس حديثا؟**

ليس حديثا بالتأكيد .. هذا الشكل كتب في القرن التاسع عشر، واستمر في القرن العشرين.

**- هل تعتبر رواية "الحرافيش" من هذا الجنس الأدبي؟**

هي أشبه بملحمة أسطورية، مثل الحكايات الشعبية التي تعبر عن مختلف الطبائع البشرية.

**- ما هي نماذج الرواية النهرية (رواية الأجيال) في أعمالك؟**

عندك مثلا (الثلاثية)، ورواية (الباقي من الزمن ساعة).

**- هل رواية (قشتمر) قريبة من الرواية النهرية؟**

فيها شيء من هذا الشكل الفني·· ابتدأت في أوائل القرن العشرين وتنتهي في آخره .. وهي تدور حول أربعة أزمنة.

**– هل هناك اختلاف بين الرواية النهرية والرواية الملحمة؟**

تحدثنا عن الرواية النهرية .. أما عن الرواية الملحمة في التاريخ، فهي تحكي عن بطولات تتحرك بين الأسطورة والواقع، مثل (الإلياذة) و(الأوديسا) لهوميروس .. الملحمة اختفت من التاريخ وحلت محلها الرواية .. كانت الملحمة تدور حول آلهة وأبطال ونبلاء، واختفت هذه النماذج مع اختفاء الملحمة.

**– هل يمكن تحويل الرواية النهرية إلى دراما تليفزيونية؟**

هذا الشكل الفني يصلح جدا في المسلسلات التليفزيونية .. تم تحويل رواية (الباقي من الزمن ساعة) إلى مسلسل تليفزيوني.. لا أستطيع أن أحكم على هذا المسلسل لأن الرقابة تدخلت وحذفت وخصمت.. رواية (الأفيال) لفتحي غانم صالحة جدا للتليفزيون .. مثل هذه الروايات تعطي مادة للمسلسل لا تعطيها أي رواية أخرى .. هذا بعكس القصة التي تتسع لثلاث حلقات ثم تقدمها في ٥١ حلقة .. الإنتاج الغزير لا يوفر التأني المطلوب، والشروط الضرورية لجودة الإنتاج.

**– أليس من المناسب والضروري تشكيل لجنة مسئولة عن الاختيار الفني الدقيق للدراما التليفزيونية؟**

لابد أن توجد مثل هذه اللجنة في كل "استوديو"، وفي "مراقبة السينما" .. تواجد اللجنة يجنب الارتجال والتسرع، وتتشكل من متخصصين يراعون القيم الفنية، ومن إداريين يمثلون التوزيع والجدوى

الاقتصادية والإعلام الرشيد .. يجب تقدير العمل من جميع النواحي.

فاجأت الأستاذ بسؤال لم يتوقعه، حين قلت:

**– لم لا تخصص جائزة للرواية باسم "نجيب محفوظ"؟**

أطلق الأستاذ ضحكة صاخبة ممتدة، كأنه استمع إلى نكتة أو قفشة طريفة، ثم قال بتواضع:

– "حسن" على قد لحافك تمد رجليك!

(**ملحوظة**: الملفت أن الجامعة الأمريكية خصصت جائزة باسم "نجيب محفوظ" بعد حصوله عبي جائزة نوبل).

**– هل تقبل الإعلان عن هذه الجائزة، إذا ما تكفلت جهة ما بتمويلها؟**

– (بلهجة فكاهية ساخرة) من الذي سيمول؟ .. ليبيا؟!

**– ألا يمكنك تمويلها بشكل رمزي؟**

والله لو كان عندي القدرة المالية لفعلت.

**ـ ماذا لو تشكلت جمعية أدبية باسم "جمعية أصدقاء نجيب محفوظ"، وتقوم هي بتمويل الجائزة؟**

أكون شاكرا وممتنا لأصدقائي إذا شكلوا مثل هذه الجمعية.. وأحبذ أن تسمى الجائزة باسم المتسابقين وليس باسمي الشخصي .. هي هكذا تصبح تكريما للأجيال الصاعدة .. وليتهم يفوزون بجائزة مجزية.

كانت ندوة "الشانزليزيه" من الناحية الرسمية هي ندوة "توفيق الحكيم"، وكان الشريك الثاني الذي يجلس بجواره، ولا ينازعه أحد في كريسه، هو "نجيب محفوظ". وقد تعارف أعضاء الندوة ضمنيا على تسميتها (ندوة توفيق الحكيم ونجيب محفوظ)، باعتبار أن نسبة كبيرة من الحاضرين من مريدي "نجيب محفوظ".

وربما كان تبرير ذلك، هو أن "الحكيم" كان يستغرق بحديثه معظم وقت الندوة، ويسترسل دون انقطاع في عرض قضايا عقلية ومنطقية وذكريات عمر طويل، مما لا يستثير اهتمام معظم المشاركين المنشغلين بالقصة والرواية، أكثر من انشغالهم بالمسرح وتنظير الأفكار والتحليلات المنطقية· وكثيرا ما كان يستعيد قول ما سبق أن قاله، بحكم الذاكرة المرتبطة بالسن، حتى إن بعض الحاضرين يضطرون لمقاطعة "الحكيم" لعرض ما عندهم من أفكار، ولم تكن هناك فرصة كافية للدخول في حوارات مع "نجيب محفوظ"، وكان عندي الكثير مما أريد أن أتحدث فيه مع "الأستاذ نجيب"، وأبدا لا يتوفر الوقت الكافي لذلك وعندما علمت أن الأستاذ يقضي ساعتين مسائيتين (من السادسة حتى الثامنة مساء) في كازينو "جليم" بلا جمهور، قررت أن أنتهز الفرصة لأشاركه هذه الأمسيات· وقد نصحني صديق أمين ألا أطيل عليه في الحديث، حيث أنه يقضي هذا الوقت وهو في حالة تأمل واستغراق في الذات ولا يميل للمناقشة والحوار.. وقد قلبت هذا الشرط، على أمل المثول في حضرته

بعض الوقت، وربما أفوز بتعليقات منه، هي أشبه بالحكم والكلمات المأثورة.

هكذا أصبحت ضيفا . شبه صامت . على أمسيات "جليم"٠ بدا لي الأستاذ متوحدا مع ذاته، مستغرقا في حديث نفسي، لا يحيد نظره عن تموجات سطح البحر، ويستحيل هدير الأمواج في سمعه إلى موسيقى كونية ساحرة٠ كنت أشعر بأنني قريب إلى نفسه بحكم ظروفي الخاصة، ضابطاً محترفاً خاض أربعة حروب ثم تحول إلى كاتب محترف، قرر أن يقول كلمة للناس، بعد أن عاصر حكم الرجل الواحد، متمثلا في ثلاثة رجال، أصبحت أنتهز فرصة قوله لي من آن لآخر (أهلا وسهلا)، حتى أسأله سؤالا أبحث له عن إجابة، أسئلة مبعثرة، لا يربطها موضوع واحد، سألته "ذات أمسية":

**– ليتك تحدثني عن "بيان الأدباء" الذي وقعته مع "توفيق الحكيم" في بداية عام ٣٧٩١، وأغضب السادات!**

(خرج عن استغراقه على غير رغبته وقال).. قدم لي "الحكيم" هذا البيان، وسألني إن كنت أوافق علي التوقيع، فوقعته على الفور.. كان البيان يتمثل في رفض "حالة اللاسلم واللاحرب"، ويطالب السادات بالحرب أو التفاوض.. غضب الرئيس وقرر حرماننا من الكتابة، ونقل الصحفيين بالجملة إلى مصلحة الاستعلامات ووظائف إدارية.. كان قد سبقنا بشهور طلبة الجامعات في رفض "حالة اللاسلم واللاحرب"، خلال

مظاهرات عنيفة، اعتقل فيها (١٢٠٠) طالب، وسجلت ما حدث في رواية "الباقي من الزمن ساعة"، التي حذف من مسلسلها (٧٠) مشهدا قبل عرضه.. ثم فوجئنا بحرب أكتوبر .. تحول الملاكم الضعيف إلى بطل أسطوري، أسقط غريمه على الأرض بضربة موجعة.. يحمد للسادات أنه اتجه نحو الديمقراطية، وتحول إلى السلام الذي استعدنا بموجبه "سيناء"، وتبنى سياسة "الانفتاح"، التي كان يمكن أن تحقق نهضة شاملة، لولا السلبيات الكثيرة التي لحقتها، من النواحي الاقتصادية والاجتماعية والأخلاقية".. جمع المال في أسرع وقت في غياب عقد اجتماعي .. تحولت أكبر مكتبتين في مصر إلى محلين للأحذية .. اعتقال بعض رموز الفكر المنتقد للسلبيات مثل ما حدث مع "لويس عوض".. تفشى الغلاء والفساد، ما ترتب عليه مظاهرات يناير ١٩٧٧". وفي أمسية أخرى، عدت أسأل الأستاذ، سؤالا رمزيا مقتضبا:

**- "الجبلاوي" (بطل رواية أولاد حارتنا) لم يمت في نهاية الرواية وبقي حيا، ما يمثل رمزا في غاية الأهمية.**

فهم الأستاذ قصدي، وقال بحزن وأسى، ووشى بدمعة لم تسقط. ليت المحتجين فهموا ذلك، ودعوا القصد المرموز إليه!!

وفي أمسية أخرى، كان سؤالي يتعلق بمجال المسرح.

تعرض الكاتب المسرحي "ألفريد فرج" لقضايا مهمة في مسرحياته، مثل مسألة العدالة الاجتماعية وتذويب الفوارق الطبقية،

والمسألة الفلسطينية، واعتبر من أنصار التجديد في الشكل المسرحي· ما قولك؟

شوف .. أنا أعتبر "ألفريد فرج" من أهم كتاب المسرح الحديث، ولم يأخذ حقه في الاهتمام، ربما بسبب تصنيفه لجهة اليسار، وهذا غير صحيح .. الفن هو الفن .. لا يعرف يمينا ولا يسارا .. "بريخت" كان صاحب نظرية جديدة في المسرح (المسرح الملحمي)، وجرى تصنيفه "ماركسيا".. لا يعيب الفنان أن يهتم بأفكار زمانه .. المهم هو جودة ما يكتبه .. لا يعيب "أبو العلاء المعري" أنه اهتم بأفكار "جماعة الصفا والمروة"، واعتبر من عظماء الشعراء العرب.. "ألفريد فرج" اعتبر "الحكيم" مثله الأعلى في تجديد المسرح العربي، ولم يكن "الحكيم" ماركسيا كما تعرف.. جنح كلاهما نحو التجديد والتقدم والمعاصرة واستلهام قضايا المجتمع.

**ـ وماذا عن مسرحية "يا طالع الشجرة" لتوفيق الحكيم، ومدى ارتباطها بمسرح اللامعقول؟!**

عندما تقرأ المقدمة التي كتبها "الحكيم" لمسرحية "يا طالع الشجرة"، تستطيع أن تستوعب ما دفعه لكتابتها عام ١٩٦٢، في مرحلته الثالثة من مراحل إبداعه المسرحي.. كانت له رحلتان إلى "باريس"، أثرتا بشكل واضح في إنتاجه المسرحي الذي يتصف بالتجديد والحداثة.. الأولى كانت في عشرينيات القرن، حيث شاهد مسرحيات "إيسن"

و"برنارد شو" و"بيراندللو"، التي اعتمدت الحركة الداخلية للفكر والنفس، أكثر من اعتمادها على الحركة الخارجية للمواقف والعواطف .. وكانت الرحلة الثانية بعد الحرب العالمية الثانية (١٥٩- ١٩٦٠)، حيث شاهد مسرحيات طليعية جديدة لـ :"أونسكو" و"بيكيت" وغيرهما.. يقول: إنه بعد هذه الرحلة أخذ يتأمل فنوننا الشعبية، فاكتشف أن فنانينا قد عرفوا فن التعبير عن الواقع بغير الواقع، الالتجاء إلى اللامعقول واللامنطقي .. صور الفنان المصري القديم صور الوجه الجانبي للرأس فوق الصدر الأمامي للجسم .. وعبر الأديب الشعبي عن نفس هذا الفن، عندما ضرب (أبو زيد الهلالي) "ضربة سيف" شطر بها عدوه من منتصفه، وظل العدو على فرسه، لم يفطن لإصابته، وقال للفارس ساخرا: "طاشت منك الضربة"، فأجابه الفارس: "اهتز يا ملعون"، فلما اهتز بجسمه، انشطر الجسم نصفين، ووقع على الأرض .. استلهم "الحكيم" أساليبنا الشعبية في مسرحيته "يا طالع الشجرة"، من وجهة نظر اللاواقعية الشعبية الفكرية، التي تريد أن تقول شيئا عندما لا تقول شيئا، وتصبح عملية الكشف والخلق وحدها هي المعنى .. وصف "الحكيم" مسرحيته بأنها رسول وفاق ووسيط سلام بين المنطقة الشعبية والمنطقة الرسمية.

**– وماذا عن استلهامك للموروث الشعبي في فن الرواية؟**

ربما يكون ذلك واضحا في رواية "ليالي ألف ليلة".. المهم أن استلهام الموروث لا ينفصل عن استحضار الواقع.. حتى إن البعض

يسمي هذا الاتجاه الآن بالواقعية السحرية، مثلما فعل "ماركيز" في روايته مائة عام من العزلة".

شاءت الظروف أن نتلقى أثناء الندوة خبر رحيل الأديب الشعبي "عبد الحميد يونس"، كنت أعرف أنه يحظى بمحبة وتقدير الأستاذ نجيب محفوظ، فأردت أن أستحضر ذكراه في هذا التوقيت، فسألت الأستاذ:

**- كيف تلقيت خبر رحيل الأستاذ "عبد الحميد يونس" عن عالمنا؟**

هو رحل بجسده وبقيت إنجازاته .. شعرت بمنتهى التأثر والحزن.. كان زميلا منذ أيام التلمذة، وبدأ الحياة الأدبية في المجلات والتأليف.. وقبل وفاته بساعات كنا نجلس سويا في الإسكندرية .. وهو شخصية عظيمة .. أنت تعرف أنه مؤسس الأدب الشعبي في مصر، وله مؤلفات عظيمة وأفكار .. وله نشاط ثقافي من خلال الجامعة ووزارة الثقافة .. وهو شخصية من شخصياتنا الخالدة .. فضلا عن العلاقة الشخصية التي لا تنسى .. زميل عمر .. حصل على جوائز كثيرة من الداخل والخارج .. أعتقد أن الكثير من أعماله قد ترجم .. جميع أعماله تجمع الآن في مجلد واحد في سلسلة "الأعمال الكاملة".. هذا أحسن تحية لراحل.. أحسن من الحفلات والكلام الذي يطير في الهواء .. هذا هو التكريم الحقيقي، والباقي على الهامش .. توصيل أعماله يأتي عن طريق الإذاعة والتليفزيون .. أما "الأعمال الكاملة" فهي للمثقفين والتاريخ.

شاءت الظروف أيضا، وفي هذا التوقيت، أن يتم افتتاح مبنى "دار الأوبرا" الجديد. أردت أن أتعرف على تصور الأستاذ لما يمكن أن تقدمه هذه الدار من أنشطة تثري الحياة الفنية والثقافية، فسألته:

**– بمناسبة افتتاح مبنى "دار الأوبرا" الجديد .. ما هو تصورك للفنون والآداب التي يمكن تقديمها في هذا الصرح الثقافي، وعلاقته بما تم تقديمه في المبنى القديم؟**

الأوبرا القديمة كانت مكانا لعرض الأوبرات العالمية .. فرق سنوية تأتي لتعرض أعمالها أمام جمهور عربي وبعضه عالمي، وكانت تلقى نجاحا كبيرا، وحضر جيلي الكثير منها.. وأعترف بأن حبي لفن الأوبرا متوسط.. وبعد ذلك تطورت "الأوبرا" في عهد الثورة .. تغير الجمهور، وتغيرت الأعمال المعروضة بدرجة ما .. وبعد أن كان الدخول بالملابس الرسمية، أصبح الجمهور يدخل بالملابس العادية.. الأوبرا الجديدة– في الواقع وكما علمت – هي ليست "أوبرا" بالمعنى القديم، وإنما مجمع ثقافي .. صالات عرض تصلح للمحاضرات، والعروض السينمائية، والمسرحيات .. أصبحت مركز إشعاع ونشاط ثقافي عام، وهذا يحقق مكاسب كثيرة، فهو يتطور مع الزمن، ويمكن أن يشبع جميع الأذواق .. كما حزن على غياب "الأوبرا" القديمة، حتى حل محلها المبنى الجديد.. ويجب أن نشكر "اليابان" على تفضلها بإقامته، ونتمنى أن ينشر الثقافة والمتعة الرفيعة للشعب المصري.

**ـ هل يمكن إعادة عرض مسرحية "زقاق المدق" في دار الأوبرا الجديدة؟**

يمكنك أن تعرض ما تشاء في الأوبرا الجديدة .. سواء أوبريتات أو عروضاً شعبية أو مسرحيات.

**– ما يخشاه البعض أن تقدم الأوبرا عروضا شديدة لخصوصية، ولنخبة ضيقة، ولا تستقطب الجمهور العريض الذي تغيرت مشاربه وأذواقه؟**

لا أعتقد ذلك .. هذا كان يصدق على عروض المبني القديم، التي يشاهدها أصحاب الذوق الغربي الخاص.. الأوبرا الجديدة تقدم إنتاجها لعموم الشعب.. ولا يمنع أن تقدم عروضا رفيعة المستوى.

**ـ ما رأيك في ثمن التذكرة الذي يتناسب مع نوعية رواد الدار الجديدة؟**

لا أستطيع أن أقترح ثمنا للتذكرة .. المطلوب فقط هو أن تتناسب التسعيرة مع نوعية الرواد.. عندما قرأت برنامج معروضات الدار، وجدت فيه ما يناسب الذوق الخاص وما يناسب الذوق العام .. هناك عروض غنائية، وعروض راقصة مثل "الباليه"، وعروض موسيقية لفرق محلية وعالمية .. الفن في النهاية لصالح الشعب وأذواق الحاضرين .. لا مانع من حضور فرق أجنبية، تقدم عروضا أوبرالية، وفرق محلية تقدم فنونا عصرية وشعبية وتجريبية .. لا يقتصر الأمر على فئة أو طبقة.

**– هل يمكن تقديم فنون شعبية تتناسب مع طبقة الحرفيين وأصحاب المهن البسيطة، التي اتسعت وتمددت مع موجه الانفتاح وظهور النزعة الاستهلاكية؟**

لم لا؟ .. مطلوب تقديم الثقافة العامة بكل أنواعها .. الثقافة دائما في خدمة الجماهير الغفيرة .. أليست طبقة الحرفيين هذه من نسيج الشعب، وتحتاج إلى الفن الذي يناسبها لترتقي بذوقها وأحاسيسها؟!

أم تتركها لمحترفي الفنون الهابطة التي تخاطب الغرائز والرغبات المتدنية، ما يؤدي إلى فرض وانتشار الفن الهابط، الذي يؤدي بدوره إلى تغييب وانحسار الفن الراقي.. وهذا ما نستشعره الآن بدرجة ما!

# الفصل الرابع

## مسك الختام

**كان شهر سبتمبر ١٩٨٨ قد أوشك على الرحيل، وكان رحيله إيذانا برحيل "نجيب محفوظ" إلى القاهرة، بعد انتهاء إجازته الصيفية بالإسكندرية، هكذا احتشد "حرافيش" الإسكندرية في كازينو "سان استيفانو" في اليوم الأخير من سبتمبر لوداع الأستاذ، على أمل لقائه في صيف ١٩٨٩.**

لم نتصور وقتها أن الأيام القليلة القادمة سوف تحمل مفاجأة أدبية عالمية كبرى .. وما إن حل يوم الخميس ١٣ أكتوبر ١٩٨٨ حتى تم الإعلان عن المفاجأة الكبرى، بفوز "نجيب محفوظ" بجائزة نوبل للآداب، بعد مرور قرابة نصف قرن على فوزه بجائزة "قوت القلوب الدمرداشية"، مناصفة مع "علي أحمد باكثير"، وحصل على مبلغ عشرين جنيها مصريا، الذي يقارب "أعراض الثراء" آنذاك الوقت.

كنت قبل المفاجأة قد انتهيت من تسجيل حواراتي مع "الأستاذ"، وأستعد لنشرها بشكل ما في صحيفة كبرى أو مجلة شهرية". وقع الخبر في نفسي وقع الصاعقة التي لم أتوقعها ولم يتوقعها أحد غيري، فترددت في نشر الحوار، وتوقفت حائرا أمام التوقيت، وقد سألت نفسي: "فيم يفيد هذا الحوار، والدنيا كلها تتحدث عن "نوبل نجيب محفوظ"، هكذا أغلقت درج مكتبي على "شرائط التسجيل"، انتظاراً لتوقيت

يتناسب مع مضمونها، وبمضي السنين ومع كل ما كتب ومازال يكتب عن "نجيب محفوظ"، عاند في التوقيت فلم أعثر على توقيت مناسب لنشر هذا التسجيل، إلى أن تذكرت أن شهر ديسمبر من هذا العام (٢٠١١) يتوافق مع مرور مائة عام على ميلاد "نجيب محفوظ"، فاستخرجت الشرائط من "خزينت"، وأعدت سماعها، فإذا بي أشعر وكأن الأستاذ يتحدث عما يجري في أيامنا هذه، وربما قال أشياء كثيرة، لم يقلها في مناسبات أخرى، فقررت نشر مضمونها في كتاب، إدراكا مني لمدى قداسة "الكتاب" عن "نجيب محفوظ"، وبمناسبة مئوية "الأستاذ".

لم نتوقف نحن "حرافيش سان استيفانو"، عن مواصلة لقاءاتنا مع الأستاذ، ضمن حرافيش كازينو قصر النيل بالقاهرة، وما إن حل شهر "يونيو" عام ١٩٨٩، حتى عدنا نسعد بأمسيات الأستاذ في "سان استيفانو"، حيث أصبح حديث الجائزة هي حديث الساعة، بمشاركة رموز الفكر ووسائل الإعلام العالمية والمحلية، وكان الأستاذ كريما مع حرافيش الإسكندرية، فعندما سئل عن أهم الأدباء في الثغر، ذكر أسماء (سعيد سالم ونعيم تكلا وشخصي)، فدعتنا وكالة الإعلام الأمريكية لزيارة "الولات المتحدة"، في رحلة ثقافية، زرنا خلالها عشر ولايات، ونزلنا ضيوفا على الكثير من المتاحف والمكتبات والجامعات والمواقع الأثرية والمراكز الثقافية.

بعد "نوبل" وجدت نفسي أسمع وأقرأ أكثر مما أتكلم وأسأل، وجد الأستاذ نفسه وسط هدير من الحوارات والتساؤلات والتعليقات والاستجوابات، لم يسبق له مثيل في أي مناسبة، ومع ذلك عن لي من وقت لآخر أن أفوز بإجابات لبعض الأسئلة الحساسة· فسألته ذات مرة:

**– ماذا عن الأصوات المعارضة لفوزك بجائزة "نوبل"؟**

لم يحصل أديب على هذه الجائزة، إلا وتعرض لأكثر من هجوم، من عدة اتجاهات.. لنأخذ مثل موقف "يوسف إدريس"، الذي ادعى أن "الصهيونية العالمية" هي التي سعت لمنحي الجائزة.. هل تسعى الصهيونية لرفع شأن العرب، الذي هم العدو الأول لإسرائيل، بمنح أديب عربي هذه الجائزة؟

قال البعض إن هذه الجائزة جاءتك بسبب موقفك المؤيد لمعاهدة السلام بين مصر وإسرائيل.

هناك نوع آخر من الجوائز يناسب هذا الموقف.. وهو جائزة نوبل للسلام، وليس للأدب.. بل هناك من يستحقها أكثر مني في مجال الأدب، مثل "أدونيس" و"توفيق الحكيم"، فهما مؤيدان للمعاهدة أكثر مني عشرات المرات.

– هناك من قال إن الجائزة جاءت بسبب نقدك العنيف للمجتمع المصري والعربي في رواياتك، باعتباره وثيقة إدانة.

ليس هناك "أدبا" في العالم إلا ومبعثه الغضب والنقد، ونظرة متطلعة إلى المستقبل الأفضل وهذا دور الأدب.

**ـ وماذا عن اتهامات التيار الديني، وهجمته الشرسة عليك وعلى أدبك؟**

تركز هذا الاتهام على رواية "أولاد حارتنا"، باعتبارها تهاجم الإسلام، والغرب يرحب بهذا الهجوم من منطلق نزعته المادية المعادية للأديان، ما سهل لي الحصول علي الجائزة ·· وهذا اتهام غير موضوعي لأسباب عديدة:

١ . النقد الموضوعي للراوية ينفي عنها الهجوم على الإسلام والديانات السماوية.

٢ . في الغرب متدينون مازالوا متمسكين بتعاليم الدين.

٣ . مصالح الغرب مع الدول العربية والإسلامية ، ليس في صالحها الإساءة إلى الإسلام.

٤ . حصلت على الجائزة بسبب قائمة طويلة من رواياتي وعلى رأسها "الثلاثية"، التي لم تتعرض لموضوع الدين.

**– هل كان هناك اعتراضا، وجدت فيه قدرا من الحياد، وبعيدا عن التجريح؟**

حدث ذلك بالفعل .. عندما قيل إنه كان من الأولى أن يحصل على الجائزة شاعر عربي، باعتبار أن الشعر هو ديوان العرب، وأكثر الفنون الأدبية أصالة .. وتعليقي على هذا الرأي، هو أن عيون الشعر العربي لم تترجم إلى اللغات الأوروبية، وهذا الزمن ليس زمن الشعر، والظروف ليست في صالحه، ثم إنه وعلى امتداد تاريخ الأدب العربي، تواجد في مقابل الشعراء قمم أدبية كتبت النثر، مثل "الحاحظ" و "أبوحيان التوحيدي".

**- وماذا عن التأثير الشخصي للجائزة؟**

تحسنت أحوالي المادية .. واتسعت حركة الترجمة الخاصة برواياتي.. وزيادة توزيعها في الداخل والخارج.

**- وهل كانت للجائزة مضار ومتاعب؟**

عانيت من الإرهاق البدني بسبب الملاحقة الإعلامية، وعدم تحمل صحتي له بسبب تقدم العمر.. ثم إن هذه الملاحقة تتعارض مع مزاجي الانطوائي، حتى إن "ثروت أباظة" ردد المثل الشعبي "يدي الحلق للي بلا ودان".. لا تنسى أيضا تلك المشاعر العدائية التي ظهرت عند بعض الأدباء، والتي عالجتها بشكل عقلاني، وساعدني على ذلك فرحة البسطاء في كل مكان.. كان الأثر الإيجابي أكبر بكثير من المتاعب.. كان من الإيجابيات المهمة تغيير نظرة الشعوب الغربية إلينا نحن العرب..

أدركنا أن لنا جذورنا الحضارية، ولنا مشاكلنا وهمومنا المعاصرة التي تتشابه مع مشاكلهم وهمومهم إلى حد كبير.

**– هل جرى ترشيح "طه حسين" و"توفيق الحكيم" لهذه الجائزة قبل حصولك عليها؟**

حدث هذا بالفعل .. ولم يتحقق الفوز لأنهما وجدا في عصر مليء بالعمالقة في الأدب الأوروبي .. وإن كان "الحكيم" سعى كثيرا للحصول عليها، خاصة في سنواته الأخيرة .. وربما عول كثيرا على مسرحيته "السلطان الحائر".

**– سمعت أنك تبرعت لمنظمة التحرير الفلسطينية بمبلغ لا بأس به من قيمة جائزة نوبل، على أن يتم الاستفادة من عائد فوائد هذا المبلغ.. هل هذا صحيح؟**

اعفني من الإجابة على هذا السؤال.. ثم إن من يتبرع بشيء لا يجوز له أخلاقيا أن يعلن عنه أو يذكره.

بقي أن أستعيد كلمة الأستاذ "نجيب محفوظ" التي قالها في أول حديث للصحافة، بعد ثلاثة أيام من جريمة الاعتداء عليه في ٤١ أكتوبر ١٩٩٤، من شاب أهوج، مغرر به، لم يقرأ كلمة واحدة للأستاذ؛ كان هذا الحادث، وبكل أسف، هو خاتمة المطاف لندوة "سان استيفانو" الصيفية؛ انقطعت صلة الأستاذ بحبيبته "الإسكندرية"، وأصبحنا نراه في عدة أمسيات شهيرة في القاهرة: في فندق "شبرد"، وفي فندق "سوفتيل"

في المعادي، وفي فيلا الدكتور "يحيى الرخاوي" بالمقطم، وفي عوامة مطلة على النيل. قال الأستاذ في حديثه للصحفي "محمد سلماوي":

"سيعز عليّ كثيرا أن أرغم على الابتعاد عن الناس، وأن تكون بينك وبينهم حواجز أمنية. إن حياتي كانت دائما بين الناس، ولم أر منهم إلا كل الحب. لماذا تريدونني أن أحرم من دفء المشاعر الإنسانية التي طالما أحاطني بها الناس؟!".

هي كلمة تكشف عن مشاعر إنسانية متجذرة في أعماق الأستاذ، لم تغب عن حوارييه ومريديه، سواء في شخصية أو كتاباته، وكانت أحد أسباب فوزه بجائزة نوبل، من خلال وصف أعماله بأنها تفيض بالمشاعر الإنسانية العميقة.

لم يفرق الأستاذ بين أصحابه بسبب دين أو موقف سياسي أو "أيديولوجيا"، أو عرق أو طائفة. الناس بكل أطيافهم وعقدهم ونقاط ضعفهم وقوتهم، وغناهم وفقرهم يستحقون كل رعاية واهتمام وتقدير، تمنيت أن يكون بيننا، ونحن نتابع أحداث ثورة ٢٥ يناير ٢٠١١، حتى يرى حلمه وقد تحقق بديمقراطية عظيمة، جمعت كل أطياف الشعب بلا تفرقة أو تمييز، وأصبح الشعب المصري مبعث فخر وإعجاب كل شعوب العالم وحكوماته، رحم الله نجيب محفوظ وطيب مثواه، وعاشت ثورة يناير ٢٠١١.

# السيرة الذاتية

- محمد الجمل.
- ليسانس آداب بكالوريوس علوم عسكرية.
- مواليد : ١٩٣٥ – الفيوم – جمهورية مصر العربية.
- عميد سابق بالقوات المسلحة.
- عضو اتحاد القصة.
- عضو مجلس إدارة أتيليه الإسكندرية (سابق).
- عضو مجلس إدارة هيئة الفنون والآداب (سابق).
- عضو رابطة الأدب الحديث.
- عضو نادى المسرح المصري.
- عضو جمعية الكتاب والأدباء.
- كاتب إذاعي معتمد.
- عضو اللجنة الثقافية بنادي سبورتنج (سابق).
- سيناريست معتمد بالتليفزيون.

عنوان المنزل : ٢٤ شارع مدحت اليزل –كليوباترا حمامات – إسكندرية

تليفون النزل : ٥٤٢٢٠١٠ الإسكندرية ..

موبايل : ٠١٠٥١٦٦٥٢٩

# الإنتاج الأدبي

أولاً : في مجال القصة القصيرة :

١-نشرت قصصه في الصحف والمجلات والدوريات المصرية والعربية.

٢-مجموعاته القصصية:

- قبل رحيل القطار(٧٩)
- هناك خطأ ما (٨٠)
- داخل الكابينة (٨١)
- كوكتيل (٨٥)
- قارئ الفنجان (٨٧)
- كعب الخير (٩٦)
- بلاغ رقم ٤ (٢٠٠٢)
- جوع القلب (٢٠٠٣)
- أرجوك .. اعطني مهلة (٢٠٠٨)
- الليل والصديق (٢٠٠٩ )

٣-مجموعات تحت الطبع :

- صوت الحب.
- وداع الفجر.
- فينوي والشيشة.

ثانياً : في مجال المسرح:

١-نشرت مسرحيات في بعض المجالات الأدبية ( إبداع تياتور – المسرح).

٢-مسرحيات منشورة .. الإنسان الكلورفيلي ، العداء ٨٣ ، الملهى والعشاق ٨٤، حديث السهرة ٨٤ ، الفرافيش ٨٥ ، الثلاجة ٨٥ ، عالم صافيناز ٨٦ ، نجم وثلاثة رؤوس ٨٦ ، شقة الخمسة (مسرحية طويلة ) ، النعيم العائم ٨٩ ، الأفراس ٩١ ، اثنين في واحد ٩٨ ، فك وتركيب ٢٠٠١.

٣-مسرحيات تحت الطبع .. جرح النمرة – هواجس – روعة اليأس.

٤-مسرحيات معروضة .. العداء – عالم صافيناز – السموم لا تعرف الحب – النهاردة آخر جنان.

ثالثاً : في مجال الرواية :

١-روايات منشورة .. المسافة الصغيرة ٨٥ – من كفر الأكرم إلى بارليف ٨٨ ، القصور تتصدع فوق الرمال ٩٢ – جواز المرور ٩٤ – حدث مساء ٩٥ – أمازيس ٢٠٠٠ _ أوقات منيبة ٢٠٠١ – بسماتيك الثلاث ٢٠٠٢ – غبيوبة بدون جنان – وزاحر ٢٠٠٥ – أطياف مسافر في الغروب ٢٠٠٨ – قراءة في دفتر الأحوال ٢٠٠٨.

٢-روايات تحت الطبع . الهبوط من عناقة – إيناروس.

رابعاً : في مجال المتابعات النقدية :

١-مقدمة بقلم نجيب محفوظ لرواية من كفر الأكرم إلى باريليف.

٢-كتبت من أعماله دراسات نقدية لعديد من النقاد منهم :

٣-يوسف الشاروني - جلال العشري - د. محمد مصطفى هدارة - د. السعيد الورقي - د. محمد زكي العشماوي - د. صلاح عبد الحافظ - د.عبد القادر القط _ د. محمد زكريا عناني - د. مدحت الجيار - د. عبد المعطي شعراوي - أ. شوقي بدر.

خامساً : كتب مقالات نقدية عن بعض الكتاب منهم:

نجيب محفوظ - إدريس - يوسف عز الدين عيسى - مصطفى نصر.

سادساً : قام باستكمال مسرحية النعيم العائم لتوفيق الحكيم في مسابقة مجلة الكواكب.

سابعاً : في مجال الإذاعة :

مسلسلات : الإنسان الأخضر - سابق مع الزمن - عمار يا مصر - فرسان التعيمر - صاحب اللوحة - من غير ألقاب - اللوحة والبوتيك.

ثامناً: في مجال الدراما التليفزيونية:

مسلسل : دينار القادرين (شركة صوت القاهرة)

سهرات : الإنسان الكلورفيلي – شمعة في السماء – فيلم تليفزيون المسافة الصغيرة.

تاسعاً : زيارات خارجية :

١– زيارة ثقافية للولايات المتحدة الأمريكية ( وكالة الزيارة ثقافية للولايات المتحدة الأمريكية ( وكالة الأعلام الأمريكي)

٢– زيارة ثقافية لباريس (معهد العالم العربي)

عاشراً: في مجال التقدير:

– حصل المؤلف على جوائز وشهادات تقديرية من جهات ثقافية عديدة.

– فاز الكاتب بجائزة الرواية من نادى القصة عن رواية "أمازيس" لعام "٢٠٠٣"

– فاز الكاتب بجائزة القصة القصيرة من اتحاد الكتاب عن مجموعته القصصية "جوع القلب" لعام ٢٠٠٦.

حادي عشر: في مجال التكريم:

–حائز على ميدالية القدرة الحسنة من الطبقة الأولى لاشتراكه أكتوبر ١٩٧٣.